

الفصل الرابع

حزب الأمة والأحزاب الأخرى

حزب الأمة والحزب الوطنى : التكوين والتنظيم والمبادئ ،
تطور العلاقة - حزب الأمة وحزب الإصلاح على المبادئ
الدستورية : التكوين والتنظيم والمبادئ ، تطور العلاقة -
حزب الأمة والأحزاب الصغيرة : الاحرار ، الجمهورى ،
المصرى .

تتحدد العلاقات بين الأحزاب المصرية على أساس تركيبها الاجتماعى والأهداف التى تجمعت حولها ، وانطلقت منها منذ البداية ، ثم تتخذ طبيعة ديناميكية - مدا وجزرا - تبعا للأحداث التى تمر بها مصر داخليا وخارجيا ، ولسنا نريد اتخاذ علاقة كل منها بالقوى السياسية « الخديوى والاحتلال وتركيا » محورا لحركتها ، ذلك ان هذه العلاقات بدورها متغيرة بتغير الأحداث ، ثم ان ثلاثتها لا تتخذ عمقا وتأثيرا واحدا ، فعلاقة حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية بالسلطة الشرعية تحرك بصفة أساسية علاقاته مع الحزب الوطنى وحزب الأمة ، كما ان موقف الحزب الوطنى من الاحتلال البريطانى يمثل محور علاقاته مع حزب الأمة ، وهكذا . . . بالتالى فهى ليست العامل الوحيد فى تحديد هذه العلاقات فقد يتغير التركيب الاجتماعى لحزب من الأحزاب مما يؤثر على علاقته بالأحزاب الأخرى ، كما قد يتطور الحزب برنامجه أو يغير مذهبه السياسى مما يؤثر أيضا فى علاقاته الحزبية . وان كان هذا وذاك لم يحدث كثيرا بالنسبة للأحزاب المصرية عام ١٩٠٧ ، وعلى هذا سنبدأ بدراسة علاقة حزب الأمة بالأحزاب المعاصرة من حيث التكوين والتركيب والأهداف ، ثم الموقف من الأحداث وفقا لسياستها الزمنى ، وأثرها على العلاقات الحزبية .

حزب الأمة والحزب الوطنى :

كان لابد للحركة الوطنية ، وقد شملها اطار واحد ، أن يبرز فيها أكثر من اتجاه ، على النحو الذى ظهرت به بعد ذلك فى شكل تكوينات عام ١٩٠٧ ، نتيجة اختلاف المصالح للأئمة عناصرها من ناحية ، وتأثير الأحداث التى مرت بمصر من ناحية أخرى .

ووجدير بالذكر أن نقاط الخلاف بين اتجاهى مصطفى كامل وأنصاره ، وبين جماعة محمد عبده لم تكن حادة منذ مطلع القرن العشرين فقد وجدنا محمد فريد يرى أن مصر محتاجة لمساعدة الانجليز . ومصطفى كامل يتحدث عن تأخر المصريين ، ويرى أن المسألة المصرية ليست هى مسألة الاحتلال ويسأل الانجليز الوفاء بوعد « دفرين » ويبدى اهتماما بالإصلاح التامى والمجلس النيابى ، ربما يفوق اهتمامه بقضية الجلاء (١) كما كانت « اللواء » تنادى بأن مصر للمصريين وأنه لا يوجد مصرى جدير بأن يسمى مصرىا يرضى لنفسه ولقومه أن تقعد مصر استقلالها الداخلى الذى قبلته تركيا وضمنته دول أوروبا (٢) ، وكانت هذه المسائل محور اهتمام جماعة محمد عبده .

ولكن عندما برز اتجاه كل منهما بشكل واضح ، وتجمع داخل اطار حزبى عبر من خلاله عن موقفه من القوى السياسية وتصوره لاسلوب الكناح بدأت هذه العلاقات تتخذ شكلا جديدا ، اثر فيه تكوين كل منها تأثرا واضحا . وأول ما نلمح فى تكوين الحزب الوطنى أن جميع زعمائه تقريبا ينتمون الى فئتي كبار ملاك الاراضى والمهنيين مع غلبة المحامين . وكان

(١) فى ١٨ ديسمبر عام ١٨٩٩ ذكر ان « المسألة المصرية ليست هى الاحتلال ولكنها مسألة تأخر الأمة المصرية واستحكام الشقاق بين أفرادها وما مسألة الاحتلال الانجليزى الا مسألة فرعية بالنسبة لها » . وفى اللواء ٥ أكتوبر ١٩٠٠ ذكر « لعمري اذا كان الانجليز يودون حقيقة أن يعيشوا مع هذا الشعب المصرى فى وفاق واتفاق ويسيرا به فى طريق السمادة كما يدعون فأول واجب نطالبهم به هو أن يحقنوا وعد اللورد دفرين . أنظر : عهد الرحمن الراضى ، مصطفى كامل ، ص ١٤٤ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ٥١٢ ، وأيضا عبد اللطيف حمزة : ادب القتالة الصحفية ، ص ١٩٤ » .

(٢) اللواء ٢١١٥ فى ٢٣ أغسطس ١٩٠٦ (مصر للمصريين) .

الشباب: من أهم خصائصهم قلم يزد- عمز- أى مسئول- فيه خلال فترة اودهارة ،
 عن «خمينيين عابثا- كما كان الطلاب- يمثلون جزءا رئيسيا في صفوف الحزب»
 وتنظيماته والجهزته الفرعية ومن باب-أولى- جمعياته السرية (٢) وفي حديثه
 للطفى السيد مع مراسل صحيفة «الطمان» ذكر أن اغلب المنضمين للحزب
 الوطنى من الطلبة الفتيان . أما المنضمون لحزب الأمة فهم من الأعيان ،
 بينما علقت «اللواء» على ذلك بأن الحزب الوطنى هو الأمة المصرية من
 فتيتها الى شيوخها عدا الجماعات التى تتألف منها الأحزاب الأخرى (٤) ،
 وربما كان الداعى الى هذا التعريف هو أن المادة الثالثة من لائحة الحزب
 الوطنى تنص على أنه يقبل عضوا فى الحزب كل مصري يتمتع بسمعة
 طيبة ، الأمر الذى أدى الى دخول الوطنيين فيه انواعا (٥) كما واصل الحزب
 اكتساب المزيد من الأعضاء مما يمكن قياسه بتضاعف عدد التنظيمات
 التابعة له فى القاهرة والاسكندرية والاقليم والمدن الرئيسية فى أوروبا (٦) ،
 فى حين كاد يقتصر تكوين حزب الأمة على الأعيان من رؤساء العائلات وأولى
 الرأى فى الأمة من ابنائهم . وبينما لم نجد شخصية مهيمنة داخل حزب
 الأمة ، بالرغم من أن لطفى السيد كان المعبر عن آراء الحزب ، إلا ان ذلك
 لم يكن على طول الخط ، كما أن دوره اقتصر على التعبير دون العمل ، كان
 مصطفى كامل شخصية مهيمنة داخل الحزب الوطنى عملا وقولا بدرجة
 تحول معها زملاؤه الى اتباع مخلصين لا قادة لهم كياناتهم (٧) .

وقد اتسم تنظيم حزب الأمة ببساطة بلغت حد التواضع ، بينما كان
 تنظيم الحزب الوطنى أكثر شمولا ودقة فضمت لائحته جمعية عمومية
 (مادة ٢ : ٨) ولجنة ادارية من ثلاثين عضوا تجتمع مرة كل شهر (مادة ١٠ ،

(٢) جولد شيدت : الحزب الوطنى المصرى ، p. 376 . وكان محمد فريد مثلا قد
 حوثر عن أبيه لثلاثة فدان وقصر بشبرا (الاثنين والدنيا عدد ١٠١٤ فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٢) .
 (٤) اللواء ٢٢٩٥ ، ٢٢٩٧ فى ٧ ، ٩ يونيو ١٩١٠
 (٥) أحمد رشاد : مصطفى كامل ، ص ٢٧٩ ، ٢٦٨ « ويذكر أن الذين حضروا خطبة
 إعلان الحزب فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ بلغوا ٦٠٠٠ شخص » .
 (٦) جولد شيدت : المرجع السابق ، p. 194
 (٧) المرجع السابق ، p. 155 .

١١-١٢) ثم لجنة تنفيذية من ثمانية أعضاء تجتمع مرة كل أسبوع على الأقل (مادة ١٤ ، ١٥) . وللحزب ناد بالقاهرة نصت المادة (٢١) على أنه يمكن أن تكون له فروع في جميع المدن ، وكان لجميع الأعضاء الحق في حضور الجمعية العمومية السنوية بالقاهرة وانتخاب الرئيس واللجنة الإدارية ، على أن تؤلف من أبحاث الأعضاء وخطبهم مجموعة سنوية تنشر باسم تقرير الحزب الوطنى (٨) .

ولابد أن « اللواء » كانت تعلم بالمشاورات التي تجرى في النصف الثاني من عام ١٩٠٦ لتكوين حزب الأمة ، ومع هذا لم تعلق بشيء ، بعكس المؤيد مثلا ، ولعلها كانت تنتظر ما ستكشف عنه الأيام ، كما كانت منشفة بمسألة طيبة وآثارها ودنشواى التي وضع فيها الاحتلال رجال حزب الأمة ، في موضع الخصوم من ضحاياها ، الذين صاروا أكبر مادة لدعاية مصطفى كامل وانصاره ضد الاحتلال .

ولما صدرت « الجريدة » رحبت « اللواء » بها ونقلت بعضا من افتتاحيتها وإن كانت قد فندت مذهبها مما يوحى بالشك في نواياها ، فقالت « إذا كانت ترى أن أعلى مظاهر الاعتدال في العلاقة بين الأمة والحكومة هي المخاسنة المطلقة فنحن موافقون لها إذا كانت الحكومة أهلية ، أما إذا كانت في يد مفير فهل يجب على الأمة مقابلة اساعتها بالامتنان والشكران ؟ » (٩) وقد ردت الجريدة ملقبة جماعة « اللواء » بمحتكرى الوطنية وطالبتهم بأن يقلعوا عن هذا الشعب المؤدى الى سوء الظن بين الأمة والحكومة (١٠) ، مما أثار موجة من الخصومة بين الحزبين ، زاد الأمر سوءا عندما طالبت الجريدة بحسن توديع اللورد كرومر ، الأمر الذي جعل اللواء يتشكك في أمر القائمين عليها ، فتساعلت الجريدة ، « وائى علاقة

(٨) أحمد رشاد : مصفى كامل ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، جولد سميت : السابق ، P. 147.

الرائعى ، المرجع السابق ، ص ٢١٧

(٩) اللواء ٢٢٨١ في ١٠ مارس ١٩٠٧ (الجريدة الجديدة) .

(١٠) الجريدة ٢٠ في ٢١ مارس ١٩٠٧ (حديث الجناب العالى مع مندوب الطان) .

بين السياسة ووداع رجل كبير ؟ » (١١) كذلك بدأت اللواء نقشب « اوراقنا قديمة » لجماعة الجريدة - إن صح القول - فأشارت الى صلقتهم بالشينخ محمد عبده والى صلة هذا بكرومر وأسيتهم « بالكروميريين » وعلقت على اعتراف لطفى السيد بمنجزات كرومر المالية والاقتصادية قائلة « إن اللورد اعطى الأمة الفنى المادى باليسرى واخذ باليمنى الوسائط التى ترتقيها ادبا وعلما فهل يقال انه نفع من المصريين احدا ؟ » (١٢) .

ويدا أن اللواء تريد أن تدمج جماعة الجريدة بالخيانة لصلتهم بالاحتلال فانتهزت ذكرى دنشواى ، ونشرت اقتباسات من ادعاء الهلباوى (١٣) ولما أزمع حزب الأمة الاعلان عن نفسه ، عادت اللواء الى تنقيد مذهبها واسلوبه متشككة فى تمثيله للأمة « فالأمة كلها على رأى واحد » وأن القتائين بالتدرج نسوا كلمة « جبنا » ان الانجليز لا يحترمون الا من يعرفهم كيف يحترمون وذكرت « أن الوطنية طريق واحد وان الاحتلال والاستقلال لا يجتمعان وان حكم الأجنبى ورقى البلاد لا يكونان » فما هذه الصيحات التى نسمعها وما هذه الأحزاب التى يسمونها ؟ (١٤) ، وهكذا انكرت اللواء الحزب واستنكرته ، وعزت قيام الأحزاب الى السياسة الانجليزية التى تستفيد من وراء انقسام الرأى ، وتسجيل كلمة الرضى بالاحتلال على المصريين (١٥) .

(١١) الجريدة ٣٥ فى ١٨ أبريل ١٩٠٧ (من هم ٤) .

(١٢) اللواء ٢٢٢٧ فى ٢ مايو (الشيخ واللورد) ، ٢٢٢٢ فى ١١ مايو (الحزب الوطنى ووزير المعارف) ، ٢٢٢٨ فى ١٦ مايو ١٩٠٧ (حسوت مصر) - وفي خطبة مصطفى كامل التى أعلن فيها عن قيام الحزب الوطنى ذكر خسائر مصر فى أسهم الترستال والقتل الانجليزى ، وتساءل : ومن ذا الذى يتغنى بعد الآن بالاصلاح المالى البريطانى فى هذا القطر ؟ انظر الوراقى : مصطفى كامل ، ص ٥٠٤ .

(١٣) اللواء ٢٢٧٢ فى ٢٥ يونيو ١٩٠٧ .

(١٤) اللواء ٢٤٠٢ فى ٢٠ يوليو ، ٢٤٠٥ فى ٢ أغسطس ١٩٠٧ (مطالب المصريين الوطنية طريق واحد) .

(١٥) اللواء ٢٤١٣ فى ١٢ أغسطس ١٩٠٧ وأضافت « ان الوهمى لا يحب عادة أن يبلغ قاهره الرشد فيقوم بشئون نفسه » .

ولما أعلن قيام حزب الأمة نشرت اللواء وصيفا لاجتماع الاعيان
 وبعضا من خطبة حسن عبد الرزاق ومبادئ الحزب دون ان تعلق بشيء (١٦)
 ولكن فريقد آخر من جماعة مصطفى كامل عبروا عن رأيهم في هذا كله في
 صحيفتهم الانجليزية «الاجبشن ستاندرد» « التي رأت ان طلب توسيع
 نطاق المجلس النيابى مناف لمصالح البلاد» « فالى متى سنظل نهدر الطريق
 وكم قرنا سينقضى في ذلك التمهيد ، ثم ان اصلاحات التعليم لا تتم مادامت
 مصر لا تحكم نفسها (١٧) ، وهكذا بدا أنهم يرفضون أسلوب الاصلاح
 التدريجى الذى اتخذه حزب الأمة منهاجا لعمله بعد ان اعلنوا رفضهم لنسلك
 الاعتدال ، وكان مصطفى كامل في أوروبا عشية اعلان قيام حزب الأمة ،
 وقد اشيع انه ارسل الى محمد فريد يقول « ان ظهور حزب الأمة المؤلف
 من اولئك الذين خبرنا تفسيثهم وميولهم الى مساندة المحتلين وفقا لما
 يسمونه سياسة اللين والتدرج يحتم علينا ان نظهر حزينا الوطنى بالرغم
 منا في مظهره الحقيقى » (١٨) .

أما برنامج حزب الأمة فقد أعلن محمد فريد أنه طلب نفس الاصلاحات
 التى نادى بها جماعة الحزب الوطنى منذ عشرة أعوام أمام أوروبا ، وأن
 الفرق الوحيد هو أنهم لم يجعلوا الجلاء فى مقدمة مطالبهم (١٩) . وهكذا كانت
 مسألة الاحتلال هى جوهر الخلاف بين برنامجى الحزبين ، واذا كنا لم نجد
 فى برنامج حزب الأمة غير وسائل للاستقلال ، كما انه لم يتضمن مطلبا
 سياسيا مباشرا ، فان برنامج الحزب الوطنى كان مستحيا وقد وضع على
 رأسه « تحقيق استقلال مصر كما قرره معاودة لندن وضمنته
 الفرمانات ... » وبينما تجاهل برنامج حزب الأمة مسألة وضع مصر
 بالنسبة لتركيا ، فان برنامج الحزب الوطنى دعا فى مادته العاشرة الى بذل

(١٦) انظر اللواء ٢٤٤٧ في ٢١ سبتمبر ١٩٠٧

(١٧) الجريدة ١٦٧ في ٢٢ سبتمبر ١٩٠٧ (أقوال الجرائد الفرنجية عن حزب الأمة) .

(١٨) جوليت آدم : انجلترا في مصر ترجمة على نفس كامل ج ١ ص ٢٧٢

(١٩) اللواء ٢٤٥٤ في ٢٩ سبتمبر ١٩٠٧ (ترجمة مقال ليوندار « الفكرة سائرة ») .

الجهود لتقوية علائق المحبة والتعلق العام بين مصر والدولة العليسة وكان مصطفى كامل يعتبر هذه المسألة من أمسبب سياسته، وأنها لا تعنى أن ينسى المصريون نصره، ولم يكن لديه مانع من أن تكون هناك جامعة وطنية وجامعة اسلامية، فليس ثمة تناقض بين هذه وتلك (٢٠)

أما المطلب النيابي فقد كان عند الحزب الوطني واضحاً وحاسماً وهو « إيجاد حكومة دستورية مسئولة أمام مجلس نيابي تام السلطة كمجالس النواب في أوروبا (مادة ٢) (٢١) في حين تواضع مطلب حزب الأمة الذي لم يتجاوز توسيع اختصاصات الهيئات القائمة، وتعلق بالممكن وبالتدرج متسقاً بذلك مع دعوة الحزب إلى اتخاذ أسلوب الاعتدال والتدرج الذي يتفق ومصالح كبار الملاك، وهو الأسلوب الذي تبذره الحزب الوطني بالمعنى الذي يقصده حزب الأمة » فالذي تفتقر أمام المطلب الرئيسي وهو الجلاء واقتصر على التشنيع على الحكومة فهو معوج » وكان مصطفى كامل يتساءل: وهل يكون الاعتدال شيئاً سوى الخوف والجبن والرياء، واستعمال خطتين ومخاطبة الناس بلهاتين؟ (٢٢)، ومع هذا لم يكن التطرف الذي يقضي إلى الثورة هو تقيض هذا الاعتدال أو حتى بديله لدى مصطفى كامل، فكثيراً ما نبى « تهمة » الثورة، واستنكر إثارة الفتن، وكان من أوائل الداعين للسكينة، والمحافظة على الأمن العام، وقد ذكر « ألم نجعل أساس سياستنا وقاعدة خطتنا استخدام الوسائل السلمية لنيل حقوقنا بالطرق القانونية . . ؟ » (٢٣) كما هاجم مصطفى سياسة الإصلاح التي تبناها حزب الأمة ووصفها بأنها

« (٢٤) - اللواء ٢١٢٢ في ١٣ شبتمبر ١٩٠٦ - (وطنية وجامعة اسلامية) - مهيل - استرجاع ، ص ١٥٠ ، ومذكرات عليية ، ص ٢٦

(٢١) حول البرنامج أنظر : أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسي ص ٤٤ - ٤٥ ، يوتان : الحياة الحزبية ص ١٦٥ الذي اضاف أن حزب الأمة يرى أن النظام القائم يكفل لرجالها غالبية كبيرة داخل مؤسساته فكان من السبب التضحية بهذا النظام مرة واحدة « وتؤولد تحت الحزب الوطني P. 151 » الذي ذكر أيضاً أن البرنامج لم يذكر التلاحق في مبادئه العشرة بالرغم من أن أربعة أخصاس سكان مصر على الأقل كانوا فلاحين « (٢٢) اللواء ٢٤٥٤ في ٢٩ سبتمبر ١٩٠٧ (ما هذا الاعتدال لطفى تهمي) والرابعين : مصطفى كامل ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨

(٢٣) والرابعين : مصطفى كامل ص ٥٠٧ ، ويوتان : أثر تائون المطبوعات ص ٢١٧

سياسة المبالغة ، وسخر من هؤلاء الذين يريدون أن يخدعوا انجلترا بقوة الدهاء ، واعتبر ذلك اعترافا من فريق من الأمة يقبول الاحتلال هذا فضلا عن كونها سياسة تؤدي الى قتل الروح الوطنية (٢٤) . واذا كان هذا هو تحليل مصطفى كامل لمعنى الاعتدال والتطرف واسلوبه لتحقيق غايته فلسنا نراه يبتعد كثيرا عن اسلوب حزب الأمة ، فكلا الحزبين يتمسك بالاعتدال بدلا من التطرف والتهيج ، ووسيلة الحزب الوطني ، تنحصر في بيت الروح الوطنية الصحيحة والشهامة والاقدام في الأمة واعلاء ملكتها وواجب حب المؤدذ والرفعة فاذا تمكنت هذه الروح من كل مصرى وفتحت المدارس العلمية والصناعية والتجارية والزراعية ، واتحدت الأمة وازدادت ثروتها اضطرت انجلترا يومئذ لان تتفق معها على الجلاء « (٢٥) . وان كان الحزب الوطني ، بعد وفاة مصطفى كامل ، قد نبذ هذا الأسلوب بشكل اعلى فتبنى اساليب عنيفة من المقاومة السلمية والتحرير على الاضرابات والمظاهرات وانشاء الجمعيات السرية وغيرها مما لا نعرف له مثيلا لدى حزب الأمة . وحتى اكتوبر سنة ١٩١٠ كان قد تم تحذير « اللواء » للمرة الثالثة نتيجة مقالاتها العدائية ضد الاحتلال (٢٦) ، بينما لم يحدث مثل ذلك لجريدة حزب الأمة ، كما ارجع تشييتهم في تقريره الى جرای في ٣٠ يونيو ١٩١١ عن الجمعيات السرية ، قيام معظمها الى قيادات الحزب الوطني وخاصة الشيخ جاويش (٢٧) . وحين علم لطفي السيد ان الحزب الوطني يدبر لمظاهرة تنادي بالجلاء ، ارسل الى محمد فريد من قريته محذرا من ان مظاهرة من هذا النوع لم يات وقتها الى الآن وانك — اي فريد — احزم من ان تدع الحزب الوطني موضعا لتنديد العقلاء (٢٨) . وكثيرا ما عطلت صحف

(٢٤) الرافعي : مصطفى كامل ، ص ٤٩٢ — ٤٩٤

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٤٩٥ (من خطبة مصطفى كامل في ٢٢ — ١٠ — ١٩٠٧) .

(٢٦) FO. 407-175 part LXXII, No. 126, 1910, p. 204.

(٢٧) FO. 407 — 177 part LXXIV, No. 9, 1911 pp. 6-7.

وقد عرض التقرير لإساءة وشخصيات ٢٦ جمعية وهدف كل منها من ص ٧ — ١٤ في ٣٠ يونيو ١٩١١

(٢٨) أوراق محمد فريد ، مطروف ١٨ خطاب من لطفي السيد اليه في ١٨ سبتمبر ١٩٠٨

بأمر الخطاب الوحيد بينهما في هذه المجموعة غير المنشورة والمودعة بدار الوثائق القومية .

الحزب الوطنى أو حذفت بعض مقالاتها بينما لم يحدث ذلك « للجرية » اللهم
 لا حذف مقال وبعض من مقال منها في فترة اعلان الاحكام العرفية في بداية
 الحرب العالمية الأولى . كذلك حوكم معظم زعماء الحزب الوطنى وعوتبوا
 بالنفى والتشريد والسجن ، ولم يتعرض واحد من زعماء حزب الأمة للمثل
 ذلك .

أما عن تطور العلاقة بين الحزبين ، التى بدأت بشكل عدائى وسافر
 حين وصف مصطفى كامل انصار حزب الأمة ، بأنهم انصار سياسة المغالطة
 وذلك فى خطبة اعلانه للحزب الوطنى فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ، فقد
 نقل مراسل « الجريدة » بعضا من الخطبة تحت عنوان « ناقل الكفر ليس
 يكافر » واصفا المرشح بأنه أهتز من كثرة التصفيق والدعوات الصالحات ،
 والخطيب بأنه « كمن يخاطب من فوق عرشه عبيدا » كما ذكر المراسل أن
 مصطفى يعرض بحزب يخالف مبادئه (٢٩) وفى اليوم التالى حلت « الجريدة »
 الخطبة بأنها دناع من مصطفى كامل عن نفسه وسب لمخالفيه ، وأن اعتباره
 لوجود الاحزاب السياسية تفرقا للأمة ، خطأ واستبدادا فى الزاى والفكر .
 وأن سياسته وشخصه شئ واحد وهى عداء المحتلين عداء لا يحرك ساكنا
 ولا ينازع نزيلا (٣٠) وردت « اللواء » بأن حزب الأمة يرى أن الاستقلال
 مسألة ثانوية ، وأنه اذا كان طلب الاستقلال يعتبر كفرا فى مذهب الجريدة
 فالإيمان اذن هو الرضا بالاحتلال وعدم المطالبة بالاستقلال . ولم تكف
 « اللواء » بحصر الخلاف فى هذه المسألة بل وسعت نطاقه لتفضح سياسة
 حزب الأمة تجاه تركيا ، وحاولت جر الخديوى الى الميدان عندما اثارته
 قضية الاستقلال التام مدعية أن حزب الأمة يوزع منشورا، يطلب فيه التخلص
 من الاحتلال الاتجلىزى والسيادة العثمانية والعائلة الخديوية ، وتكررت أن
 الجريدة وضع اساسها أيام مسألة العقبة لمحاربة الاميال التركىة فى

(٢٩) الجريدة ١٩١٣ فى ٢٣ أكتوبر ١٩٠٧ (والمراسل كامل تيلب) .

(٣٠) الجريدة ١٩٤ فى ٢٤ أكتوبر ١٩٠٧ (تعليق على خطبة مصطفى كامل باشا) .

مصر (٢١) « وقد ردت « الجريدة، » على ذلك بتفسير معنى الاستقلال: التام تقسراً مغايراً اعتمدت فيه على جدل فقهي، موضحة أن ما تعنيه هو: « الأوتونومي » وليس الاستقلال الكامل. « الأتدباندائيس » وانكرت أن يكون طلب الاستقلال التام حرباً على العائلة الخديوية، « فكيف نحارب عرشاً نطلب له الاستقلال من السلطة الفعلية؟ » (٢٢) . وازاء هذا التراجع أجيست « اللواء » بالانتصار فنعتت حزب الأمة « بالحزب المضطرب » ، ورات في ذلك انهزاماً وخضوعاً للحق وذكرت أن جريدته بخلت على الحقيقة بكلمة « داخلي » في تحديد نوع هذا الاستقلال (٢٣) . وكانت اللواء بشغفيتها الهائلة تعابير الجريدة وتعتبرها أقل الجرائد المصرية شأنًا وتتهمها بحاربة الوجدان الوطني ، ولم تكن تعنى بسوى كتاب « الجريدة » وعلى رأسهم لطفى السيد ، ذلك أن « مساهمها افضل الأمة وتوابغها ولم يدخلوا فيها كغيرهم، مرضاة لكرور » ولكنها أخذت عليهم أنهم تركوها تكتب بأسمائهم ، وإموالهم (٢٤) . على أن هذا الاحترام من اللواء لأعيان الحزب أتبعث أساساً من الرغبة في تحطيم الجريدة والايقاع بين مؤسسيها ، وكانت موجة الإنسحاب من الجريدة، قد بدأت على صفحات « المؤيد » ، ويبدو أن الجريدة ازاء هذا العداء العام، كانت تتلمس تأييداً — ولو واهياً — أو تحييداً ، ممن هم في مرتبة الخصوم ، فكانت تنشر مقالات فريد وجدى صاحب جريدة « الدستور » ، بالمؤيدة للحزب الوطنى ، الذى كتب ما يفيد استياء الكتاب الأحرار من هذه الحملة على حزب الأمة (٢٥) . ولم تشأ الجريدة أن ترد

(٢١) اللواء ٢٤٩٣ في ١٤ نوفمبر ١٩٠٧. (وقد نقلت عبارة من هذا المنشور الذى يدعى فيه الحزب الناس للانضمام لحزب الأمة ويذكر أن عرض حزب الأمة هو الاستقلال التام . ولم تعلق الجريدة بشيء حول نكرة المنشور ولم تنه ولم نعتبر على دليل آخر يؤكد مسألة توزيع الحزب لمنشورات).

(٢٢) الجريدة ٢١١ في ١٦ نوفمبر ١٩٠٧

(٢٣) اللواء ٢٤٩٥ في ١٧ نوفمبر ١٩٠٧

(٢٤) اللواء ٢٥٤٦ في ١٨ يناير ١٩٠٨

(٢٥) الجريدة ٢٦٠ في ١٨ يناير ١٩٠٨ وقد ذكر فريد وجدى في الدستور عيديد ٥١ في ١٧ يناير ١٩٠٨ « لا أقول ذلك لأن الجريدة على حق، مما أجده في السياسة والمذهب وهو أول عمل سياسي بشرى قام به أعيان الأمة ليهل يصبن بنا أن نقابلهم ضاحكين . » والعدد ٥٠ في ١٢ يناير ١٩٠٨ وتيه يعلن استيائه من انسحاب الأعضاء .

على اللواء راغبة في سبوتها، ان لم يكن عطفها، كما إن لطفى السيد في اجتماع الجمعية العمومية للجريدة تحديث من فضل مصطفى كامل في تشبيه الشعور الامى ونعته «بسيادة زميلى» ودعا له بالشفاعة (٢٦) .

وجاءت وفاة مصطفى كامل المفاجئة بمثابة طوق نجاة لحزب الأمة، فارتأتها فرصة كبيرة للتقرب من الحزب الوطنى، الذى كان بدوره منشغلا بوفاة زعيمه من الصراعات الحزبية، ولم تكن لهجة الجريدة في نعى مصطفى أقل اسى من اللواء فافترقت صفحاتها في الترجمة له ونقل فقرات من خطبه ووصفت مؤكب جنازته وبرقيات تعزيته، واكثر من ذلك انفردت باقتراح اقامة تمثال لمصطفى كامل «تمثال الوطنية»، وأوضحته انه لا خلاف بين برنامج حزب الأمة وبرنامج الحزب الوطنى الا ما يكون من الخلاف اللفظى بين العبارتين تؤديان معنى واحدا (٢٧) .

وقد تولى أحمد لطفى السيد حملة كبرى متبنيا فيها اساليب الحزب الوطنى فاول مرة - تقليداً لمصطفى او حلولا محله - يخطب في تادى المدارس العليا خطابا عاما لجميع الاعضاء، دعا فيه الى اقامة التمثال والوفاق مع الحزب الوطنى واعتمد فيه على اساليب مصطفى كامل ومنطقته في اثاره الحماسة الوطنية والهاب المشاعر (٢٨) . وبهذا لم يكتف حزب الأمة بالتقارب مع الحزب الوطنى ودمج تهمة الشك في وطنيته، بل سار الى ابعاد من ذلك، وربما ساورت لطفى فكرة تولى زعامة الحزبين خلفا لمصطفى كامل،

(٢٦) الجريدة ٢٦٧ في ٢٦ يناير ١٩٠٨

(٢٧) وقد نادى بفتح باب الاكتتاب للتمثال على البنك الابانى الشرقى ونشرت قائمة الاكتتاب الاولى ومعظم اسمائها من حزب الأمة واستشهدت بقول رجل من العامة بنموه من دخول القبر « لا تمنونى فلهاشا ليس يتاعكم يا اغنياء بل هو متاعنا نحن الفقراء » وعادت : تالها الرجل الامى فقال بها كل شىء . الجريدة ٢٨٢ في ١٢ فبراير ١٩٠٨ وتحت عناوين « الوطنية فوق الاحزاب » و « الحزن العام » تنرغ الجريدة اجزائها وتنشر حوادث الطلبة الذين اخلوا بالنظام وتركوا مدارسهم لتشجيع مصطفى وتشكر النظار للذى منهم وترد على البروجرية لثبته ان في المصريين شعورا عاما وجامعة تومية فوق كل شىء . انظر اعداد : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ في ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، فبراير ١٩٠٨

(٢٨) الجريدة ٢٦٦ في ١٩ فبراير ١٩٠٨ (نص خطبته بتادى المدارس العليا) .

خاصة وقد تبنت أسلوبه ومنطقه الخطابى فى نادى المدارس العليا ثم فى نادى حزب الأمة فى ١٧ مايو ١٩٠٨. وكذلك مسرح زيزينيا بالاسكندرية - مكان مصطفى كامل - كما أن لطفى قد نيط به أمر استلام التمثال وكلف على فهمى أن يكتب الى فريد ذلك (٢٩) . ويكمل هيكل الصورة حين يبدى استغرابه للطفى من موقفه يوم الوفاة حين بدا وكأنه أصيب فى أعز الناس لديه ، على ما كان بينهما من خصومة سياسية ، ففرد لطفى بأن هيكل لا يزال شابا لا يدرك مثل هذه المواقف (٤٠) .

وقد بادل الحزب الوطنى حزب الأمة مشاعره الطيبة وبادر محمد فريد الى الرد على احدى الجرائد التى حاولت التثويش على صداقته لأحمد لطفى السيد «بعد أن تكاد أننا على وفاق مع مدير الجريدة فى كليات الأمور» (٤١) وكان لا تضاح معالم سياسة الوفاق التى أضرت بكل الحزبين ، أثر فى تنمية هذا التقارب بين الحزبين ، فقد أبدت حزب الأمة عن الوكالة البريطانية بنفس القدر الذى ابتعد به الحزب الوطنى عن الخديوى عباس يائسا منه ، وان كان قد بدأ ذلك فعلا قبيل وفاة مصطفى كامل ، كما أدى ازدياد حدة لهجة الجريدة تجاه الاحتلال الى نفس النتيجة ، ويتأكد هذا التقارب أكثر فأكثر فنشر الجريدة ملخصا لخطبة فريد بدار التمثال فى ١٧ أبريل ١٩٠٨ التى امتدح فيها حزب الأمة ومبادئه (٤٢) . ولا نجد فى صفحات الجريدة مغزرا للواء الا فيما يتعلق بمسائل حزبية بسيطة لا تهمس أسمن سياسة كل منهما (٤٣) .

(٢٩) أوراق محمد فريد ، خطاب ١٩ من على فهمى كامل اليه فى ٢ يوليو ١٩١٣

(٤٠) هيكل : مذكرات فى السلسلة ج ١ ، ص ٢٢ - ٢٤

(٤١) اللواء ٢٥٨٧ فى ٥ مارس ١٩٠٨

(٤٢) الجريدة ٣٣٧ فى ١٨ أبريل ١٩٠٨

(٤٣) تحاول الجريدة لفت نظر اللواء الى خمتها ، فى الحكم على تاريخ التجليز ونسختهم ، وفى دفاعها من ناظر المعارف ضد حملة اللواء عليه لكتلى بأن تنشر رسالة « لخدمهم » تدافع عن الناظر دون أن تنتقد موقف اللواء منه ، الجريدة ٣٥٥ فى ١٠ مايو ١٩٠٨ (ماذا قرأنا ؟) و ٣٥٦ فى ١٦ مايو ١٩٠٨ (اللواء وناظر المعارف) . كما تعاتب اللواء الجريدة لتجاهلها خطبة على فهمى فى زيزينيا وترى أنها لن تنجح فى مثل هذه الفريضة وللذم خطبة لطفى السيد وصف الصلابة الثرى فويل بها نتيجة حملاته الشديدة على سياسة الاحتلال مما لم يصرح حزب الأمة بأمثلها من قبل ؟ اللواء ٢٦٥٠ فى ١٨ مايو ١٩٠٨) ونشر اللواء للمرة الأولى رسائل قرأتها لهيئة لطفى السيد بخطيته (اللواء ٢٦٥٠ فى ١٨ مايو ١٩٠٨) وأيضا وادى النيل عدد ١٥ فى ١٨ مايو ١٩٠٨ تعليقها على خطبة مدير الجريدة .

ولكن مع ذلك تظل هناك عقدة قديمة لا تفارق صدر الحزب الوطنى ، هى
 للخاصة بموقف حزب الامة من علاقة مصر بتركيا ، وهذه المسألة الى جانب
 موقف حزب الامة من الاحتلال ، يمثلان نقطتى الخلاف الجوهريتين فى علاقات
 الحزبين . فقد علقت اللواء على خطبة للطفى السيد تحدث فيها عن « استقلال
 مصر » بنشر عتاب بتوقيع ابراهيم حلليم باشا نفى فيه عن لطفى السيد سوء
 النية وذكره بأن مصر خديوية تابعة للدولة العلية وامل أن يكون لطفى قدس عنى
 باستقلال مصر ، زوال الاحتلال الانجليزى (٤٤) كما لم يسمح الحزب الوطنى
 للنحسين العلاقة مع حزب الامة بأن تنسيه وبدءا أساسيا من مبادئه أو تؤثر على
 موقفه من الاحتلال ، فلم يربدا من الاحتجاج على جريدة حزب الامة حين وافقت
 ناظر المعارف على امتحان اثنين من الانجليز ادعيا أن بإمكانهما القيام بتدريس
 الرياضة باللغة العربية .. حتى لا يغضب دنلوب والاحتلال ، وراى اللواء
 أن موقف الجريدة يعتبر عجيبا حقا لأن كل انجليزى يدعى ذلك يجاب الى طلبه
 ذلك أن الذى يثبت عليهم مقدرتهم هم المفتشون الانجليز ، وتساعلت فى
 استنكار « أضح أن تقول الجريدة أن هذه الطريقة حكيمة ومعقولة حتى
 لا يغضب دنلوب والاحتلال .. اننا لسنا فى مقام ارضاء دنلوب
 والاحتلال » (٤٥) وتدلل هذه المسألة على اتساق موقف كل منهما من الاحتلال ،
 كما تدل أيضا على أن الحزب الوطنى ليس على استعداد لقبول موقف حزب
 الامة استمرارا لفترة الود بينهما ، وقد اتضح نفس المعنى فى موقف كل منهما
 ازاء علاقة مصر بتركيا ، يضاف الى هذا وذاك نقطة تتعلق بالمطلب الدستورى ،
 فبينما تولى الحزب الوطنى ما عرف بحركة العرائض فى أواخر أبريل سنة
 ١٩٠٨ (٤٦) لم يحرك حزب الامة ساكنا ازاء هذه الحركة العامة ويواصل

(٤٤) اللواء ٢٦٥٩ فى ٢٨ مايو ١٩٠٨

(٤٥) اللواء ٢٦٨٢ فى ٢٥ يونيو ١٩٠٨

(٤٦) قام الحزب الوطنى بجمع عرائض طلب الدستور من الامة ووضعت فى ٤ مجلدات
 محتوية على ٦٩٥ مريضة عليها أربعون ألف توقيع ، وقابل فريد الخديوى لتدبيرها إليه فأجر
 الخديوى بأن ترسل الى رئيس الديوان (اللواء ٢٦٢٤ فى ٢٠ أبريل ١٩٠٨) .

مناقشة الحكومة في مشروع توسيع اختصاصات الهيئات النيابية القائمة (٤٧). الأمر الذي أدى إلى إنتقاد اللواء لذلك المسلك، وأن يشكل غير مباشر. واعتبرت حزب الأمة ضحية لسياسة الخداع والايهام التي واجه بها الاحتلال. طلب المجلس النيابي، وفندت الصحيفة يوعية هذا، «التوسيع» واعتبرت أن التغيرات التي حدثت مجدودة وشكلية وبلا قيمة، ثم استدارت اللواء نحو مجلس الشورى وأوضحت لإعضائه أن من الفضيحة أن يقبلوا مناقشة مثل هذا المشروع، التامه بعد أن ارتفع صوت الصغرى والكبرى بطلب الدستور (٤٨).

وبالرغم من هذا الاختلاف بين الحزبين على هذه المسائل الأساسية وأسلوب التعامل معها، فيما يسمى بالتطرف والاعتدال، فإن العلاقات الودية بينهما لم تنقطع، ومحاولات حزب الأمة التودد أكثر للحزب الوطني لا تزال مستمرة، حتى ود لوقتي الحزبان أحدهما في الآخر «فخير الأحزاب أن لا حزب» كما دعت الجريدة إلى الخروج من التحزب (٤٩) ونشرت نص خطبة فريد بزيثيا في أغسطس ١٩٠٨ (٥٠) وقد بلغت العلاقة الودية بين الحزبين درجة أشيع معها أن الجهود بذولة لجعلها حزبا واحدا. وان خطبة لطفى السيد في الإسكندرية ستشرح البروجرام الجديد، وأن الخلاف ينحصر فيمن يكون الرئيس وأن لطفى السيد قرر الانفصال عن حزب الأمة إذا لم يتحقق الانضمام ليكون سكرتيرا عاما للحزب الوطني ثم ترشح نفسه للرئاسة القادمة (٥١). وقد قابلت اللواء والجريدة ودا بود فنشرت في صدر صفحاتها نص خطبة لطفى ووصفتها بأنها ذلك على اتحاد الشعور الوطني وانها «ذكرتنا بأموال تقدينا وخاصة وقت مناداة الخطيب جهرا بالجلاء والدستور» وعلقت بان حزب الأمة لو كان قد جاهر بهذه المطالب من يوم نشأته لكان اليوم

(٤٧) وذلك بنشر سلسلة مقالات «مسألة اليوم» في الفترة من ٢٨ مايو حتى أول يونيو

١٩٠٨ بالجريدة.

(٤٨) اللواء ٢٦٥٦ في ٢٥ مايو ١٩٠٨، ٢٦٨٢ في ٢٥ يونيو ١٩٠٨.

(٤٩) الجريدة ٤٢٩ في ٤ أغسطس ١٩٠٨.

(٥٠) الجريدة ٤٣٩ في ١٦ أغسطس ١٩٠٨.

(٥١) المنير ٦٤٧ في ٢٢ أغسطس ١٩٠٨.

هو والحزب الوطني واحدا (٥٢). وبذلك يتضح أن الحزب الوطني لم يصرح بذلك الأبناء على تصوره أن حزب الأمة قد تخلى عن مبادئه أو طورها ثم غير موقفه من الاحتلال ، كما يبدو أيضا أن اختلاف الحزبين في المبادئ والمواقف شيء والعلامات الودية بينهما أو بين زعمائهما شيء آخر . فالمسألة الأخيرة مستمرة ، برغم ثبات الأولى التي لا تتغير الا بتخلي أحدهما عن مبدأ من مبادئه .

ينطبق هذا التحليل على ما اعتبره حزب الأمة ترحزا من الحزب الوطني عن موقفه تجاه تركيا ، خاصة بعد الانقلاب الدستوري في يوليو ١٩٠٨ ونزوع الاتحاديين عن الاتجاه الاسلامي ، وعلى اثر تصريح انور باشا لمراسل التيمس في تركيا في اوائل سبتمبر من نفس العام بشأن الاتجاه الجديد (٥٢) فأشادت « الجريدة » بمقال لمحمد فريد ابطال فيه حجة القائلين بأن من مصلحة مصر ان ترسل عنها مندوبين في مجلس المبعوثان . واعتبرت ان فريدا يدافع عن رأى حزب الأمة في هذه المسألة (٥٤) وانتشمت الجريدة بتطور العلاقة بين الحزبين على هذا النحو ورأت فيما ذكره فريد عن توحيد الحزبين امرا ممكنا واجابت سائلها عن حقيقة هذه الاشاعة بانها لا تعلم خبرا كهذا ، وان كانت مبادئ الحزبين تسمح لهما بذلك ، وضربت مثلين أولهما : ان الحزب الوطني جعل « المصرية » قاعدة أعماله السياسية ، وثانيهما : اتفاق موقفهما بشأن تمثيل مصر في مجلس المبعوثان ، وكررت الجريدة ان مقصدها العام « هو الدستور والاستقلال واذا كان المستقبل يضمن توحيد الحزبين بالفعل فهذا ما لا نعرفه اليوم » (٥٥) =

اويبدو أن فكرة توحيد الحزبين كانت مقلقة لحزب الأمة ذلك انه خشى ان يذوب داخل الحزب الوطني الكبير قبل ان يتأكد ان ستكون الزعامة

(٥٢) اللواء ٢٧٣٤ في ٢٤ أغسطس ١٩٠٨ ووادى الليل ٩٨ في ٢٣ أغسطس ١٩٠٨

(٥٣) يونان لبيب : الحياة الحزبية ، ص ٩٤

(٥٤) الجريدة ٤٥٤ ، ٥٥ ، في ٢ ، ٣ سبتمبر ١٩٠٨ (تصريحات رئيس الحزب الوطني ،

مصر وتركيا) .

(٥٥) الجريدة ٤٥٤ في ٢ سبتمبر ١٩٠٨

وكذلك فإن دعوة حزب الأمة للدستور، والنجلاء لم تكن لها نفس دوافع الحزب الوطني . كما أن لطفى السيد لم يستطع تجاهل حقيقة العلاقة بين زعامات الحزب الوطنى وتركيا برغم رفضهم اشتراك مصر فى مجلس المبعوثان . زاد من مخاوف حزب الأمة أن إحدى صحف الحزب الوطنى ذكرت، انه ليس فى مصر حزب غير الحزب الوطنى وأن الأحزاب ما انشئت الا محاربة لمصطفى كامل (٥٦) .

ومع ذلك تستمر العلاقة الودية فتلخص الجريدة خطبة فريد فى ١٤ سبتمبر ١٩٠٨ وترد على المؤيد طعنها على مقالاته « ماذا يقولون » (٥٧) فتمتن اللواء لدفاع الجريدة وتنقل عنها انتقادها لشيخ المؤيد وتصفه بأنه أسطر ذهبية ويحضر فريد وبعض أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى الحديث السياسى فى نادى حزب الأمة (٥٨) بل وتنشر نص محاضرة لأحد أعضاء حزب الأمة كاملة فى صدر صفحاتها للمرة الاولى (٥٩) وحين تتعطل آلات الطباعة باللواء تستضيفها مطابع « الجريدة » ليومين متتاليين (٦٠) ، وتتملى صفحات اللواء بتهنئة العشرة الكرام ، أعضاء مجلس الشورى ، ومعظمهم من حزب الأمة ، لاتفاقهم مع الأمة فى طلب المجلس النيابى (٦١) ويستقبل نادى حزب الأمة قطبا من أقطاب الحزب الوطنى محاضرا وهو عمر لطفى (٦٢) كما يحضر محمد فريد خطبة مدموازيل كليمان فى نادى حزب الأمة (٦٣) .

(٥٦) وادى النيل ١٠٨ فى ٣ سبتمبر ١٩٠٨ (حزب الأمة يريد أن ينضم للحزب الوطنى) .
 (٥٧) الجريدة ٤٦٥ فى ١٥ سبتمبر ، ٤٧٨ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠٨
 (٥٨) اللواء ٢٧٦٨ فى أول أكتوبر ، ٢٧٧١ فى ٥ أكتوبر ١٩٠٨ (كما تعلن اللواء عن أخبار الأحاديث السياسية بنادى حزب الأمة قبل موعدها شأنها فى ذلك شأن الجريدة . انظر اللواء فى ٢٧٧٧ ، ٢٧٨٢ فى ١٢ ، ١٨ - أكتوبر ١٩٠٨) .
 (٥٩) اللواء ٢٧٨٢ فى ١٨ أكتوبر ١٩٠٨ (وهى محاضرة أحمد أفندى عبد اللطيف .
 (٦٠) اللواء ٢٧٩٦ فى ٧ نوفمبر ١٩٠٨ (ومذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، كراتى (١) -
 من (١٠) .

(٦١) اللواء ٢٧٩٦ فى ٧ نوفمبر ١٩٠٨
 (٦٢) اللواء ٢٨١١ فى ٢٤ نوفمبر ١٩٠٨
 (٦٣) الجريدة ٥٤١ فى ١٧ ديسمبر ١٩٠٨ .

وهكذا تستمر العلاقات بين الحزبين ، ودية طالما لم تكن هناك أحداث تمس جوهر مبادئ كل منهما وعلاقاته السياسية ، ولم يكرهها سوى رسالة نشرتها « الجريدة » لأحد قرائها يستنكر فيها الدعوة لإقامة تمثال لمصطفى كامل لأن في ذلك إحياء للوثنية (٦٤) ، ترد اللواء على لسان أحد قرائها أيضا الذي لام الجريدة على نشرها مثل هذه الرسالة ، خاصة وهي أول من نادى بفكرة التمثال (٦٥) وحتى ذلك الحين لم تخرج اللواء عن آداب الحوار مراعاة لحسن العلاقة بين الحزبين . غير أنها فاجلت « الجريدة » بنشر كتاب مفتوح الى مديرها وصفتها فيه بأنها جريدة الأعيان وحزبها حزب الأعيان ، وتساءلت عن المعنى الخاص الذي تقصده بلفظ « الأعيان » واستنكرت ان يكون رجال حزب الأمة هم رؤسائنا او خيارنا ، وانهم اهل البلد وكلنا عيال عليهم دخلاء بينهم . . . » ، كما حاولت تفسير المعاني المقصودة للفظ وفندتها جميعا منتهية الى ان حزب الأمة هو حزب الأغنياء (٦٦) ، فردت الجريدة بأنها لم تتحلل لمؤسسيها هذا اللقب بل وصفتهم بما هم موصوفون به من قبل ، وانهم حزب الأمة أى حزب الشعب لا حزب الأعيان (٦٧) ، وقد مرت هذه المسألة بسلام دون ان تذكر صفوا العلاقات بين الحزبين ، فاشتركا معا في الاعداد المؤتمر يعقد في جنيف دعا اليه الحزب الوطنى (٦٨) وساهم فيه لطفى السيد بالقاء محاضرة عن « المسألة المصرية » (٦٩) .

(٦٤) الجريدة ٦٠٤ في ٧ مارس ١٩٠٩ (كتاب من ب ت ج) .

(٦٥) اللواء ٢٩٠٠ في ٨ مارس (كتاب من محمد حسن) .

(٦٦) اللواء ٢٩٠٥ في ١٤ مارس ١٩٠٩ (خطاب لحسين بهجت المحامى) .

(٦٧) الجريدة ٦١١ في ١٥ مارس ١٩٠٩ (الأعيان) وما يدل على استمرار العلاقة الودية تلخيص الجريدة لخطبة جاويش في مسرح برتغانيا في ١٨ مارس ١٩٠٩ (الجريدة ٦١٤ في ١٨ مارس) وتنتشر اللواء نص احتجاجات الأعيان وتوقيعاتهم على قانون المطبوعات ومعظم من حزب الأمة (اللواء ٢٩١٧ - في ٢٧ مارس ١٩٠٩ ، ٢١-٢٢ في ٣٠ أكتوبر ١٩٠٩) .

(٦٨) أوراق محمد فريد ، خطاب ١٥ من على الشمسى ، جنيف في ٢٦ أبريل ١٩٠٩ (وفيه يطلب على الشمسى من فريد مقابلة لطفى السيد والتكلم معه فيما اذا كان في الامكان جمع المال اللازم لتجاح المؤتمر من أعضاء الحزب الوطنى وحزب الأمة) وقد طلت الجريدة للمؤتمر ورحبت بخطبة على الشمسى الدعوة اليه وساعت في بيع تذاكرها . كما أن الذى تسددهم الخطيب على المسرح هو حسن بك عبد الرازق (الجريدة ٦٧٧ في أول يونيو ، ٦٩٢ في ١٩ يونيو) ٦٩٨ في ٢٦ يونيو ١٩٠٩) . ويفضى مراسلو الجريدة أخبار المؤتمر (الجريدة ٧٦٨ في ١٦ سبتمبر ١٩٠٩) .

(٦٩) انظر نصوهي الخطاب بالجريدة ٧٧٥ - ٧٧٩ من ٢٥ - ٢٩ سبتمبر ١٩٠٩

١٨٤- ولعل في تلبية حُزْبِ الأُمَّةِ دَعْوَةَ الإِشْتِرَاقِ في المُؤْتَمَرِ والأَعْدَادِ لَهُ خُرُوجًا عَلَى المُلُوفِ مِنَ سِيَّاسَةِ الحُزْبِ في شَأْنِ المَسْأَلَةِ المِصْرِيَّةِ بِالإِسْتَعَانَةِ بِأُورِيَّا وَشَرَحَ التَّقْضِيَةَ المِصْرِيَّةَ لَهَا ، فَلَمْ نَعْمَدِ مَوْقِفًا كَهَذَا لِلحُزْبِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَهُوَ فِي هَذَا يَتَّبِعِي وَاحِدًا مِنَ أَسَالِيبِ الحُزْبِ الوِطْنِيِّ ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا يُعْتَبَرُ تَطَوُّرًا مِنْ نَوْعِ جَدِيدٍ فِي عِلَاقَةِ الحُزْبَيْنِ ائْتَمَرَتْ بِهِمَا مِنَ العِلَاقَاتِ الوِذِيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ أحيانًا ، إِلَى الإِتِّفَاقِ عَلَى أُسْلُوبِ وَاحِدٍ فِي التَّعَامُلِ مَعَ المَسْأَلَةِ المِصْرِيَّةِ . وَتَتَضَحَّ مَعَالِمُ التَّفْصِيلِ فِي تَرْجُمَةِ « إِدَارَةِ الجَرِيدَةِ » لِحُطْبِ لُطْفِيِّ السَّيِّدِ لِعَامِي ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ إِلَى الفَرَنْسِيَّةِ لِإِعْطَاءِ الرِّأْيِ العَامِ الفَرَنْسِيِّ صُورًا وَحَقَائِقَ عَنِ سِيَّاسَةِ الحُكُومَةِ (٧٠) كَمَا نَلْمَسُ تَأَثُّرًا آخَرَ بِالحُزْبِ الوِطْنِيِّ يَتَعَلَّقُ بِأُسْلُوبِ العَمَلِ ، كَأَنَّ حُزْبَ الأُمَّةِ مَدْنُوعًا إِلَيْهِ بِتَزَايُدِ عِدَاءِ الإِخْدِيوِّ لَهُ ، وَهُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى قِيَامِ مِظَاهَرَةٍ تَبْدَأُ مِنْ إِدَارَةِ الجَرِيدَةِ حَتَّى مَنزِلِ الشَّيْخِ حَسُونَةَ النُّوَاوِيِّ لِتَتَأَسَّفَ لِاسْتِقْطَالِهِ وَتَشْكُرَهُ عَلَى اسْتِقْطَالِ رَأْيِهِ خِلَالَ حَوَادِثِ الأَزْهَرِ (٧١) وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ المِظَاهَرَةَ لَمْ تَقْمِ بِالفِعْلِ إِلاَّ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَيْهَا تَتَّبَعُ عَنْ تَغْيِيرٍ يَتَعَلَّقُ بِرَغْبَةِ الحُزْبِ فِي التَّخَلُّقِ عَنِ أُسْلُوبِهِ .

وَقَدْ أُحْتَفِلَتْ الجَرِيدَةُ بِعِيدِ الدِّسْتَوْرِ العُثْمَانِيِّ وَأَتَمَّ الحُزْبُ زِينَةَ بَاهِرَةٍ وَتَوَافَدَ أَعْضَاؤُهُ عَلَى النُّادِيِّ مَهْتَبِينَ بَعْضُهُمُ البَعْضَ (٧٢) وَهُوَ أَمْرٌ وَاقِعٌ بِشَرِبِ الحُزْبِ الوِطْنِيِّ الَّذِي تَمَادَى فِي الإِحْتِفَالِ بِمَا يَنَاسِبُ مَوْقِفَهُ مِنْ تَرْكِيَا ، فَأَرْسَلَ وَفُودَهُ إِلَى تَرْكِيَا لِلتَهْنِئَةِ ، وَأَعْلَنَ أَنَّ « المِصْرِيِّينَ عُثْمَانِيَّوْنَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، عَلَى أَنَّ مِصْرَ عِنْدَمَا تَتَحَرَّرَ لَا يَجُوزُ أَنْ تَبْقَى ذِيلاً لِلدَّوْلَةِ كَمَا هِيَ الْيَوْمَ » (٧٣) . وَتَمَّ نَادِي « اللُّوَاءِ » بِسُلْطَةِ الأُمَّةِ فَذَكَرَتْ أَنَّ جَمِيعَ الأَرَاءِ قَدْ تَضَافَرَتْ

(٧٠) اللُّوَاءُ ٣٠٨١ فِي ٢ أَكْتُوبَرِ ١٩٠٩

(٧١) وَادَى النِّيلِ ٧٩ فِي ٢٠ فِبرَايِرِ ١٩٠٩ وَتَضْيِيفُ « أَنَّ لُطْفِيَّ ارْتَادَ أَنْ يَظْهَرَ أَمَامَ الجَمْعِ بِمِظَاهِرِ الرَّجُلِ العَظِيمِ الَّذِي تَلْتَفَ حَوْلَهُ الأُمَّةُ . وَفِي العَدَدِ ٨٠ فِي ٢١ فِبرَايِرِ تَذَكَّرَ الصَّحِيفَةُ أَنَّ لُطْفِيَّ وَقَفَ خُطْبِيًّا بِأَنَّ الكِبْرَاءَ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّيْرَ فِي هَذِهِ المِظَاهَرَةِ عَلَى الإِقْدَامِ فَطَلَبُوا أَنْ يَسِيرَ هُوَ مَعَهُمْ نَادِعِينَ فِي البِدَايَةِ ثُمَّ هَرَبَ عَلَى عَرِيَّةٍ نَرَارَ مِنَ الوَعْدِ . . . هَذَا وَلَمْ تُشْرَ « الجَرِيدَةُ » إِلَى الدَّعْوَةِ لِلْمِظَاهَرَةِ ، وَلَمْ تَسْتَكْرِ مَا قَالَتْهُ وَادَى النِّيلِ .

(٧٢) اللُّوَاءُ ٣٠١٨ فِي ٢٤ يُولْيُو ١٩٠٩

(٧٣) اللُّوَاءُ ٣٠٢٠ ، ٣٠٢٧ فِي ٢٦ يُولْيُو ، ٢ أَوْغُسْطُسِ ١٩٠٩

على القول بسلطة الأمة والنفاء بسلطة الأمة ، وأن الأمة المضرية إذا طلبت ختمها ، فإنما تطلبه حقا طبيعيا شرعيا وهو الحكم الذاتي (٧٤) . يستند أن مفهوم الأمة يختلف بالضرورة عند كلا الحزبين ، فالأمة عند الحزب الوطني تعنى عامة الشعب ، وتعنى مختلف الطبقات من غنى وفقير وصغير وكبير ، وأنه يمثل الأمة خير تمثيل (٧٥) بينما يدخل النفي والمكانة الاجتماعية ورئاسة العائلات الكبيرة في مفهوم حزب الأمة .

ويظل الحزب الوطني على نفوره من الاعتدال والمعتدلين ، وقد وصفت « اللواء » المعتدلين الذين يظنون أن المحتلين سينيلوهم بالتدرج حكم أنفسهم ، بأنهم كالكابضين على الشمس . وتساءلت « الا يزال بيتنا من يحسنون الظن بالانجليز » (٧٦) وكانت تعلم ان لا أحد يستطيع أن يرد بالاجاب فكأنها تريد ان تثبت على حزب الأمة ، وقد رأته يتبنى بعض اساليب الحزب الوطني ، نجاح سياستها . ويؤكد محمد فريد هذا المعنى في حديثه الى جريدة « الاكبر » في ٢٦ سبتمبر ١٩٠٩ فيقول « الحزب الوطني صريح في هذه المسألة لأنه لا يطلب من انجلترا اصلاحات داخلية ، وإنما يطالبها بالجلء ، أما أصحابنا أعضاء حزب الأمة فهم يقتصرون على مطالبة انجلترا بالبر بوعودها بلهجة أخف بكثير من لهجتنا . . . » (٧٧) .

وحتى يناير ١٩١٠ كانت العلاقات بين الحزبين على شيء من الود المتمثل في تبادل التهاني والدعابة لبعضهما في صحفهما وتبادل المطبوعات والتقارير أما نقاط الاختلاف الأساسية فقد بقيت دون تغير ، بينما لمسنا تغيرا طفيفا في أسلوب حزب الأمة مال به الى شيء من التطرف النسبي ، متأثرا بالحزب الوطني مرتبطا بسوء علاقته بكل من الوكالة والخدوي ، وبمحاولة الحزب التماسك بعد توالي الاستقالات منه ، ومحاولته اكتساب شعبية

(٧٤) اللواء ٢٠٣٤ في ١٠ أغسطس ١٩٠٩

(٧٥) اللواء ٢٨٣٨ في ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨

(٧٦) اللواء ٣٠٤٥ في ٢٤ أغسطس ١٩٠٩

(٧٧) اللواء ٣٠٧٨ في ٢٩ سبتمبر ١٩٠٩

تعموضه في محفته ، ولم يكن هذا الميل الى التطرف يرجع الى اقتناع حقيقي .
يقدر ما كان ميلا « تكتيكيا » ذلك ان تركيب الحزب لم يتغير بدرجة يفر معها .
اساليبيه ، كما ان أسس الخلاف الجوهرية بينه وبين الحزب الوطنى وبالذات
موقف كل منهما من الاحتلال والسيادة العثمانية ظلت على ما هى عليه .

ويقابل ذلك امعان الحزب الوطنى في تطرفه واندفاعه في مهاجمة
الحكومة ومجلس شورى القوانين ، خاصة بعد الموافقة على قانون
المطبوعات ، والاضرار التى حاققت بالحزب بسببه ، فأغلقت إحدى صحفه
وهى القطر المصرى وسجن صاحبها ، كما حبس الشيخ جاويش وأضر
اللواء في يوم واحد ، وبلغت حملة الحزب الوطنى على مجلس الشورى ،
وخاصة أعضاء حزب الأمة فيه ، مداها في النصف الأول من يناير سنة
١٩١٠ ، في الوقت الذى شرع فيه حزب الأمة في مهانة الخديو والتقرب من
معيته ، وكف قلبه عن انتقاد الحكومة ، بل ودافع عن مسلك مجلس الشورى ،
وقد اعتقدت « الجريدة » ان الخلاف الذى دب بين أعضاء الحزب الوطنى ،
والذى صدرت على اثره صحيفة « العلم » كلسان للحزب يعتبر نقطة ضعف
في الحزب الوطنى مما يجعله غير قادر على تحدى حزب الأمة . وما ان
اشتدت حملة اللواء على مجلس الشورى ، حتى اقترح عضو بالمجلس سحب
رخص الصحف التى طعنت على الاعضاء ومنع مندوبيها من دخول المجلس ،
وعضده على شعراوى خاصا . اللواء بالذكر ، وعضدهما طائفة من زملائهما
من حزب الأمة او من اشياعه واعتبرت اللواء ان الحملة مدبرة وايدت اسفها
لدخول الشخصيات والحزبات الحزبية الى مجلس الشورى (٧٨) . وراى
الا غرابة في ان يأتى ذلك من حزب الأمة فقد كان اعضاؤه اول من صدقوا
على قانون المطبوعات (٧٩) . ولم تنكر الجريدة ذلك . بل ايدت الاقتراح

(٧٨) اللواء ٣١٦٧ في ١٣ يناير ١٩١٠ والمعضو الاول الذى قدم الاقتراح هو طلبة سمودى .

باشا (الجريدة ٨٦٩ في ٢٠ يناير ١٩١٠) .

(٧٩) اللواء ٣١٦٩ في ١٦ يناير ١٩١٠ وفتحى رضوان : مشهورون منسيون ، ص ٣٥

(ويذكر ان مندوب اللواء كان الشيخ جاويش) .

وحصرت الخلاف حول مندوب اللواء فقط وتذكرت ان اللواء يمثل في ذاته معنى التطرف (الراديكاليزم) ، غير ان التطرف لا يقبل الخلط في المبادئ ، ولا يسوغ الخروج عن قوانين الآداب (٨٠) غير ان هذا الموقف يوضح ان الجريدة كانت على استعداد للتضحية بما نادت به لمجرد الخلاف الحزبي او حتى الشخصي ، مما يدل على جوهر التمسك بما تنادى به ، فموقفها من مندوب اللواء يعتبر مناقضا لما كتبه في ١٨ ابريل ١٩٠٩ مستنكرة ان يحرم أحد من دخول المجلس بعد ان تقرر علانية جلساته « كان أعضاء الشورى يريدون مباحين يجلسون في زوايا المجلس ليكتبوا في اليوم التالي قصائد المدح للنواب . . » (٨١) . ويفسر هذا الموقف بعداء الحزب للخديوي ، الذي اقترحت مجموعة داخل المجلس يتراسها اسماعيل اباطة ، مشروع علانية الجلسات ولم تتضمن واحدا من أعضاء حزب الأمة (٨٢) .

وتذكرت اللواء جذور الخلاف مع حزب الأمة ، فتحدثت عن كشفه مصطفى كامل لامر الجريدة واثر سياسة جورست على الحزب ، حيث لم تبق له قية وطعن على مجلس الشورى الذي لا يمثل الأمة ، واستشهدت بأقوال سابقة للطفى السيد حول حرية الصحافة والنقد (٨٣) ولم يجد لطفى السيد بدا من النكوص أمام عنف الشيخ جاويش - رئيس تحرير اللواء - فذكر ان الظروف السياسية تقتضى ان تأتلف الاحزاب ، « ولا ازال الح على رئيس تحرير اللواء بحق الوطنية ان لا يجتهد في التفريق بيننا وبين اصدقائنا الكثيرين في الحزب الوطنى » (٨٤) . وقد تمادى جاويش في عدائه ، رغم تراجع لطفى السيد فكتب مقالة طويلة يرد بها على اتهام لطفى له بالتفريق بينه

(٨٠) الجريدة ٨٦٩ في ٢٠ يناير ١٩١٠

(٨١) الجريدة ٦٣٦ في ١٨ ابريل ١٩٠٩

(٨٢) مضابط مجلس الشورى ، جلسة ١٣ ابريل ١٩٠٩ عدد ٤٥ من الوقائع في اول مايو

١٩٠٩

(٨٣) اللواء ٢١٧٤ في ٢٢ يناير ١٩١٠ (يستشهد بمقال لطفى بعنوان ويل للصحانيين في

الجريدة بتاريخ ١٨ ابريل ١٩٠٩) .

(٨٤) الجريدة ٨٧١ في ٢٣ يناير ١٩١٠ (ويضيف : أما نحن نقد سامحاه لينا تفضل بـ

ونسامحه في المستقبل عما سيخرفنا به من الانقلاب) .

الأخزاب ، وأطلق على مجلس شورى القرآنين لقباً « مجلس أعيان الأمة »
وسرد تاريخ مصطفى كامل مع « الجريدة » (٨٥) وكانه يريد بذلك أن يجرّد
الجريدة من تراثها ، خاصة الشباب منهم ، فانتقلت دائرة الخلاف من
« الظروف القائمة » إلى « المواقف القديمة » . وقد قدمت « الجريدة » دليلاً
على تراجمها ورعبتها في أيقاف المعركة ، منتهزة فرصة صدور الحكم بأيقاف
صحيفة « العلم » — وقد أصبحت لسان الحزب الوطنى — وانتقدت مسلك
الحكومة وتطبيقها لقانون المطبوعات على جرائد الحزب الوطنى (٨٦) . كما
خلقت مسألة مد امتياز قناة السويس موقفاً مشتركاً بين الحزبين حيث تسابقا
في معارضة المشروع (٨٧) ، وما أن صرح الخديوى لمندوب صحيفة الظان بأنه
رئيس الحزب الوطنى حتى رحبت اللواء بذلك وكنت حملتها عن حزب الأمة
منشقة بمطالبة الخديوى بالدستور من جديد (٨٨) .

وتولى حزب الأمة بلسان ابراهيم الهلباوى ومحمود أبو النصر ، الدفاع
عن الوردانى — أحد شباب الحزب الوطنى — في قضية اغتياله لبطرس غالى
وانسحت الجريدة صدرها لنشر نصوص الدفاع عنه (٨٩) ، ولما علم أحمد
بك عبد الرازق أحد مؤسسى حزب الأمة بأمر تفتيش منزل محمد فريد ، أرسل
اليه قبل التفتيش يحذره من ذلك ، فتخلص فريد من الأوراق التى يمكن اتخاذها
دليلاً للأضرار ببعض أعضاء الحزب الوطنى (٩٠) . وازداد التقارب بازدياد
اعتدال موقف الحزب الوطنى نسبياً ودعوة زعمائه للاعتماد على النفس ،
ورفع شعار مصر للمصريين ، ويأسهم من رجال تركيا الفتاة الذين صمت

(٨٥) اللواء ٢١٧٦ في ٢٤ يناير ١٩١٠

(٨٦) الجريدة ٩١٩ في ٢٠ مارس ١٩١٠

(٨٧) مذكرات محمد على علوبة : ص ٤٤ ، مذكرات سعد : ك ١٧ ص ٨٩٧

(٨٨) اللواء ٢٢٥٧ في ٢٥ أبريل ١٩١٠

(٨٩) الجريدة ٩٦٤ ، ٩٦٥ في ١٢ ، ١٤ مايو ١٩١٠ وهيكل : تراجم ص ١٩٥ ومذكرات

سعد ك ١٨ ص ٩٢٩ ، وقد أضاف « أن الوردانى اشترط في قبول تعيين الهلباوى للدفاع
عنه أن يتكلم في مسألة دنشواى بالابتعاد عليها قبل هذا الشرط لأنه كان يريد أن يغسل بمرامقته
أدران ما اقترنه في مسألة دنشواى » .

(٩٠) حبرى أبو المجد : محمد فريد ، ذكريات ومذكرات ص ١٦٥ — ١٦٦

آذانهم عن نداءاتهم (٩١) ، وفي حديث لطفي السيد الى مراسل صحيفة الطنان ذكر أن بروجرام حزب الأمة هو في الحقيقة بروجرام الحزب الوطنى ، وأن الفرق بينهما إنما هو فرق سنن ومزاج فقط . . هم راديكاليون ، ونحن اوبورتنست متهلون ، وأن اغلب المنضمين اليه هم طلبة فتيان أما المنضمون الى حزبنا فهم من الاعيان (٩٢) . وقد غضب الحزب الوطنى من التحديد الآخر ولكنه لم يشأ أن يفتح مجالا جديدا للنقاش فاكثفت « اللواء » بأن اشادت بأن الفتيان ينتمون للحزب الوطنى الذى هو الأمة المصرية بأمرها الا قليلا واعربت عن احترامها لأشخاص حزب الأمة أو حزب الاعيان وان قتل عددهم (٩٣) وعندما علقت الجريدة على حديث لبلنت حول استبدال طابور عثمانى واحد بجيش الاحتلال وذكرت ان « عودة مصر ولاية عثمانية لا يقول به مصرى حز واحد » (٩٤) علقت اللواء بأنها لا ترضى أن يكون فى مصر جيش احتلال لسواء كان انجليزيا أو عثمانيا « وأنا متأكدون بالسيادة العثمانية كما هي مادامت في مصلحتنا فهي أكبر ضمان لاستقلالنا الداخلى . . . » (٩٥) وبهذا لم تتعد اللواء حدود تفسير رأياً بما يوافق مبادئ حزبها ، مما يدل على أن كلا الحزبين ظل على تمسكه بمبادئه في ظل العلاقة الطيبة التى تربطتهما ، يدل على ذلك دفاع الجريدة عن الشيخ جاويش عندما حوكم في قضية التقريظ التى اثارها ديوان « وطنيتى » للغاياتى (٩٦) وعرضت على محمد فريد أحد محاميه للدفاع عنه « فان القضية مهمة بالمتهم عديمة الأهمية بالنسبة لموضوعها » وقامت بحملة صحفية للدفاع عنه ثم طلبت الى الحكومة العفو عنه والحت في

- (٩١) اللواء ٢٢٩٣ ، ٢٢٩٨ في ٥ ، ١١ يونيو ١٩١٠
 (٩٢) نقلا عن اللواء ٢٢٩٥ في ٧ يونيو ١٩٠٩ ويعلق مراسل الطنان بان مصرع بطرس شويهد من الاقتراع بين الحزبين لان الذين ساءتوم هذه الحادثة سبكون الحزب المتطرف وينضمون الى حزب الأمة Opportunists (هكذا عبر لطفي والمعروف ان ترجمتها ثمنى راديكاليون) أى الكلمة الأخرى هي : Radicals -
 (٩٣) اللواء ٢٢٩٧ في ٩ يونيو ١٩١٠
 (٩٤) اللواء ٢٣١٦ في ٢ يوليو ١٩١٠
 (٩٥) اللواء ٢٣١٧ في ٣ يوليو ١٩١٠
 (٩٦) الجريدة ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ في ١ ، ٢ أغسطس ١٩١٠

بذلك حتى أن محمد فريد قال « أرجو أن يتحاشى لطفى بك طرق هذا الموضوع ، فإن هذا ما لا أقبله ولا أرغب فيه » (٩٧) .

وما لبثت قضية الاستقلال أن برزت إلى السطح ، حين كتب لطفى السيد سلسلة مقالاته عن سياسة العواطف والمنافع ، فانبرت صحيفة العلم للرد عليه وأظهرته في موقف المحارب لعواطف المسلمين ، واتهمته بأنه راغب ، وبالذين على رايه ، في استبدال السيادة العثمانية بالسيادة الانجليزية (٩٨) ولم تكف « العلم » بذلك بل أثار نقطة الخلاف الأخرى بين الحزبين والمتعلقة بموقفهما من الاحتلال البريطاني منتبهة بفرصة حديث لطفى إلى مراسل صحيفة « الجازت » فعلقت بأن ذكر الأدلة تلو الأخرى على أن الاحتلال له اليد الطولى في تلك « الجريدة » يماثل اقوال مديرها التي لا تدع مجالا للإشك ، ووصفت مديرها بأنه انجليزي أكثر من الانجليز (٩٩) ولا يقتصر الهجوم على الجريدة وحزب الأمة على صحيفة العلم ، بل تولت صحيفة « الأفيكان » إحدى صحف الحزب الوطني مهاجمة « الجريدة » باعتبارها أكثر شرا من المؤيد (١٠٠) .

وإذا أخذنا في اعتيادنا ما أحدثته حملة الجرائد المصرية على مقالات لطفى السيد ، والخلاف الذي حدث داخل الحزب نتيجة لذلك ، وما أحدثته تصريحات كتشنر عن استيائه من الأحزاب ومراجعاتها ، حينئذ يبدو طبيعيا أن تتراجع الجريدة وتكف عن السير في خصومة « العلم » حتى نهاية الشوط بل أنها ابدت أسنفا لتعطيل الصحيفة ثلاثة أشهر (١٠١) وحاولت اجتذاب

(٩٧) مذكرات الهلباوى ، ص ٩٥ والرائسى : محمد فريد ، ص ٢٨٥

(٩٨) العلم ٤٤٨ في ٢٥ أكتوبر ١٩٠٤ في ٢٧ أكتوبر ١٩١١ وقد اتخذ الرد شكل مقالين متصلين بعنوان « مصرى يسوء سمعة المصريين » ، لحمود نيسى المحامى أبان فيها من وقت لطفى السيد للأتراك ورميه المصريين بالتمصب الدينى ، وأنه يريد أن يكسب مودة الانجليز كما ذكرت أن مصر للمصريين ولكن ذلك لا ينمعا من التقرب لتركيا قياسا على السياسة الحديثة التى تقضى بالتحالف والتحاب . . . الخ .

(٩٩) العلم ٤١٨ في ١٨ سبتمبر ١٩١١

(١٠٠) الأنيكار ٨٢٤ في ١٧ سبتمبر ١٩١٢

(١٠١) الجريدة ١٤٤٩ في ٢٠ ديسمبر ١٩١١

مطاعمت الوطنيين بكتابتها عن الحركة الوطنية وتموها وذكرها أن الخلاف بين الأحزاب لا يؤثر عليها (١٠٢). ودافعت عن محمد فريد عندما هوجم لعدم وقوفه عند عزف السلام الخديوي بالأوبرا (١٠٢) ولما حوكم على اثر خطبته في ٢٣ مارس ١٩١٢. واعتبرت خطبته تحريضا ضد الحكومة ودعوة للثورة ، وحوكم معه على فهمي كامل واسماعيل حافظ ، تبنت الجريدة القضية وتولى عبد العزيز فهمي ومحمود أبو النصر الدفاع عنهم (١٠٤) . . . وعندما قبض على ثلاثة ينتمون للحزب الوطني بتهمة التأمر على حياة الخديوي وكثشفر ومحمد سعيد وحوكم الثلاثة فيما عرف « بمؤامرة شبرا » يظهر الهلباوى ضمن هيئة الدفاع فيقول الاتهام عبد الخالق ثروت النائب العام (١٠٥) ، وهكذا مرة أخرى ، منذ نشواى يوضع رجلان من حزب الأمة في موضعى الإدماء والدفاع في قضية وطنية ، وان كان المتهمون ينتمون بشكل صريح للحزب الوطني كما أن الهلباوى وقد تغير موقعه من ممثل الاتهام الى محام عن المتهمين .

وفي أواخر عام ١٩١٢ رحل محمد فريد عن مصر ، مما أضعف الحزب الوطني وصرف الكثيرين عنه ، كما أن اللواء قد أغلقت (١٠٦) ومما كثير من صحف الحزب . وكذلك هددت وأندرت صحيفة العلم وأغلقت أكثر من مرة ، وكان اغلاقها للمرة الأخيرة نتيجة نشرها مقالة لفريد ختبتها بالطعن على ولاية الأمور العثمانيين وحملتهم تبعة ما أصاب الجيش العثماني في الحرب البلقانية ، كما نلاحظ ان « الجريدة » نشرت أخبار الدولة العثمانية

(١٠٦) الجريدة ١٤٦٢ في ٤ يناير ١٩١٢

(١٠٧) الجريدة ١٤٧٧ في ٢٢ يناير ١٩١٢

(١٠٨) الرامس : محمد فريد ، ص ٢٢٣ ، أحمد شفيق : مذكراتى ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٦٨ وقد حكم على فريد بالسجن سنة مع الشغل وعلى كل من فهمي واسماعيل حافظ بالسجن ثلاثة اشهر وقد يمانر فريد بمصر على اثر صدور الحكم .

(١٠٩) الجريدة ١٦٥٠ ، ١٦٥١ في ١٢ ، ١٣ أغسطس ١٩١٢ وأحمد شفيق : مذكراتى ج ٢ ، ص ٢٦٨ ومحمد أنيس : الاختلال والحركة الوطنية قبل الحرب الأولى ، الاهرام ٤ مايو ١٩٧٢

(١١٠) وقد اتهم فريد طلعت حرب بالعمل على اخلاق صحيفة الانتداب وأفساد امر اللواء عن طريق وكالته في إيصالهم السلطان أمين مصطفى الحزب الوطني وبالك نصف اللواء نفسه حاربها طلعت خدمة لحزبه — مذكرات محمد فريد ، ق ٢ ، ك ١ ، ص ١٢

وانتصاراتها الوجيهة وغزبتها بطرف خفى ، دون أن تحتد لهجتها ، فذكرى موقفها من الحرب الطرابلسية لا يزال ماثلا ، بما يجعل هذه الاخبار تكذب بعضها بعضا (١٠٧) ، الامر الذى خلق تقريبا بين زعامات الحزبين ، والذى بدا واضحا في موقفهما من الجمعية التشريعية . حيث بدا ان معارضة قوية من رجال الحزبين ستلعب دورا هاما بها بل اتسيعاته ربما اتفق منتخبوا الحزبين لتكوين حزب واحد داخل الجمعية (١٠٨) . يتأكد هذا التقارب مع تأثير اجراءات الحرب العظمى الاولى على مصر من احكام عرفية ورقابة صارمة واغلاق الصحف وتثبيت زعامات الأحزاب ، وقد صاحب هذا مؤقتا وبكراه ، تخل نسبي للحزب الوطنى عن تطرفه تجاه الوجود الاحتلالى فيذكر فريد ان ميدام دي روشرون اخبرته بأن لطنى السيد صرح لها بضرورة بقاء الاحتلال والانفصال عن الدولة العلية (١٠٩) دون ان يعلق على ذلك او يستكره ، بل ان بعضا من زعماء الحزب الوطنى قد تحادثوا مع فريد فى ضرورة الاتفاق مع الانجليز « حيث لم يبق لنا امل تقريبا فى الحملة التركية على مصر » فيذكر فريد لاسماعيل لبيب ، « ان الانجليز لو كانوا منحونا المجلس النيابى والاستقلال الداخلى التام الذى ننشده لانعناهم ومشينا معهم » - يقصد فى الحرب العالمية - (١١٠) وهكذا قبل فريد هذا الحل « المعتدل » الذى هاجمه الحزب الوطنى ، وعاد متمذلا مظلما كان قبل صلته بمصطفى كامل ، كما انه للمرة الاولى فى تاريخ العلاقات بين

(١٠٧) الجريدة ١٧٢٢ فى ٩ نوفمبر ١٩١٢

(١٠٨) مذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، ك ٢ ، ص ٦٣

(١٠٩) مذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، ك ٦٣ ، ص ٨٤

(١١٠) مذكرات فريد ، القسم الثانى ، ك ٧ ، ص ١٧٩ ، وقد لانه اسماعيل لبيب

على هذه العبارة لانها ربما تنقل للاتراك) ولغير موثقت الحزب الوطنى من تركيا جذور نفوذ الى
ومضى الحكومة العثمانية التصريح للحزب بمقتد مؤتمر اسلامى عام بالاستانة نتيجة تدخل مارلنج
السفير الانجليزى لديها : FO. 407 - 179, Part LXXVI; No. 35 - 36, 1912.

ثم طعن فريد على ولاية الأتراك العثمانيين نتيجة فشلهم فى الحرب البلغانية (الجريدة ١٧٢٢)
فى ٩ نوفمبر ١٩١٢) ثم يأس الحزب الوطنى من تركيا تماما عندما فشلت حملتها على مصر ، فصرح
فريد « ان لا امل فى خلاص مصر على يد الاتراك والالمان بل لو دخلوها لحولتها تركيا الى ولاية
عثمانية بسيطة أو لبقى فيها الالمان ونحن فى هذه الظروف نفضل بقاء انجلترا والاتفاق معها
على اخذ الدستور ولو تدريجيا . (مذكراته ، القسم الثانى ، ك ٧ ، ص ٢٠١)

الحزبين يحدث تقارب أساسه اتفاق الموقف من الاحتلال وأسلوب التعامل معه . يتصل به تقارب آخر أساسه تفرع موقف الحزب الوطنى من تركيها للمرة الأولى .

حزب الأمة وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية :

إذا ما تمثلنا علاقة الخديو عباس بمؤسسى الجريدة الذين أعلنوا أنهم يكونون حزبا سياسيا منذ البداية ، فقد لا نبالغ إذا قلنا أن إعلان حزب الأمة عن قيامه فى سبتمبر ١٩٠٧ كان واحدا من الأسباب الرئيسية لظهور حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية فى ديسمبر ١٩٠٧ ، حيث نقد الخديو الأمل فى هذه الجماعة تقريبا حين وقتت منه جريدتهم ، منذ البداية ، موقفا غير ودى ، فى الوقت الذى ساءت فيه علاقته بالحزب الوطنى ، وأثبت الحزب وجوده بميدا عنه فكان لخسران الخديو لأكبر قطاعين وهلمنين ، وإعلانها عن قيام حزبين كبيرين يتجاهلان فى برنامجيهما سلطته ، كما كان لرحيل سياسة الخلاف برحيل كرومر ، وظهور بوادر الوفاق مع جورست ، أثره فى بحث الخديو له من دور جديد فى الحركة السياسية ، ولما كانت هذه الحركة قد اتخذت أشكالا حزبية تنطق بلسانها صحف قائمة أو أنشأتها فقد وجد الخديو ضالته فى صحيفة المؤيد التى يحررها على يوسف — الذى ما زال يذكر له وقومه الى جانبىه فى قضية زواجه متحديا بذلك مشاعر الرأى العام — لا يهمله على أية مبادئ تقوم بقدر ما يهمله أن تقف دونه فى مواجهة الحزبين الآخرين ، وليس من قبيل الفضول الصحفى أن تهتم المؤيد بأمر « الجريدة » قبل صدورها بأشهر تسعة ، فبا أن علمت بمشاورات الأعيان لإصدارها ، حتى بذل على يوسف محاولاته ليكون عضوا بشركتها فاعتذر له رئيسها (١١١) كما قامت المؤيد بحملة استطلاع رأى واسعة النطاق تحت

(١١١) واجابه للأعضاء بأنهم لو كانوا راضين من خطة المؤيد لما كانوا بحاجة لأنشاء جريدة جديدة (الجريدة ١٧٢ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧) .

عنوان « محادثات مع بعض الاعيان » (١١٢) التقى فيها مكاتبا بأعضاء شركة الجريدة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة الا وسألهم عنها . كما نشر مشروع قانونها وهو في دور الاعداد وهو ما لم تشر اليه « الجريدة » ذاتها فيما بعد ، وكان المؤيد تريد أن توضح للخديو مركز الجريدة الجديدة . زاد الأمر وضوحاً أنها ترجمت عن الصحف الانجليزية ما ذكره ملزم من أن كرومر يعمل لتكون حزب وطني مخلص للحكومة يقاوم مثيري القلاقل في مصر ، ثم عادت فأنصحت عن ذلك بأن هذا الحزب هو الجمهور الذي يشتغل الآن بإنشاء الجريدة الجديدة (١١٣) .

واستعدت المؤيد لمواجهة الجريدة الجديدة ، فصدرت للمرة الاولى في ثمان صفحات وبحجم كبير (١١٤) لتزيد من مادتها وتوسع من قاعدة قرائها ؛ كما لجأت الى التنفير من الجريدة قبل صدورها بأسلوب ملتو فذكرت أن اكثار الصحف الانجليزية كالتيمس وغيرها من الترويج لها يضر بسمعتها ، حتى ان بعضهم يسميها « مقلما ثانيا » (١١٥) وذكرت قراءها بأن القائم على تحرير الجريدة هو صاحب الدفاع الهزيل في دنشواي ، والذي شهد له « مندلى » بالامتياز (١١٦) ثم استدارت الى الخديو لتوضح له أنهم جماعة محمد عبده ، عدوه القديم (١١٧) لذلك عندما صدرت الجريدة شرعت في غمز المؤيد بطرف خفى وقالت انها تنفذ الارادات المستترة للمعية السنية وتساءلت : ما حاجة الجناب العالى وهو صاحب السلطة الشرعية لقلم الكاتب ؟ حينئذ أحست المؤيد أن « الجريدة » تقصدها فتساءلت عما تقصده بالارادات ومن

(١١٢) المؤيد ٤ يوليو ١٩٠٨ في ٦ يوليو ، ١٩٢٠ في ٢١ يوليو ١٩٠٦ ؛ ولم نعلم في آية اشارة عن هذه الجريدة في صحيفة اخرى سوى المقطع عدد ٥٢٠٨ في ١٢ سبتمبر (١٩٠٦) .
 (١١٣) المؤيد ٤٩١٥ ، ٤٩١٦ في ١٥ ، ١٦ يوليو ١٩٠٦
 (١١٤) ابتداء من العدد ٤٩٨٢ في أكتوبر ١٩٠٦
 (١١٥) المؤيد ٥٠٣٥ في ٦ ديسمبر ١٩٠٦
 (١١٦) المؤيد ٤٩٧٢ في ١٩ سبتمبر ، ٤٩٨٢ في ٢ أكتوبر ١٩٠٦
 (١١٧) فتظاهرت بالرد على التيمس وذكرت « أنهم يريدون أن يخلطوا بين مبادئ الشيخ محمد عبده وبين نزعات المهاتمين على الوكالة البريطانية » المؤيد ٥٠٣٦ في ٩ ديسمبر ١٩٠٦ .

الذى يصدرها ، وأتهمتها بترديد ما تقوله الصحف الانجليزية بل وحاولت ايفار صدر الخديو على الجريدة متهمة اياها بلمزه (١١٨) .

ثم تعرضت المؤيد لبرنامج حزب الأمة بالنقد والتحليل ولاحظت عليه عدة ملاحظات اولها : أنه تجاهل الحرية الشخصية وثانيها : أنه ترك مطلب التعليم باللغة العربية في مدارس الحكومة . وثالثها : يتعلق بخلاف لفظى مؤداه اثبات أن مبادئ الحزب اذ تقرر « أن نصل بالتدرج الى المجلس النيابى الذى يوافق حالتنا السياسية » . يعنى أننا الآن غير مستحقين له مع تقييده بتقيد الذى يوافق حالتنا السياسية ، وبهذا يخالف حزب الأمة ما قررتة الجمعية العمومية التى طلبت المجلس طلبا أصليا ذاتيا ، ورابعها : اقتصر الحزب فى الدعوة للاجتماع على المشتركين فى الجريدة ومع ذلك يدعى أنه يمثل الأمة (١١٩) . وقد ردت الجريدة على ذلك موضحة ان الحرية الشخصية موجودة وكافلها القانون الذى تطلبه فى الفقرة الثانية ، كما أن ذكر التعليم وتصيره موافقا لنا لا يكون كذلك الا اذا كان بلفتنا والمجلس النيابى غير محقق الأمل فيه الا بطروف استثنائية للدول فى امرها حكم لا يستهان به ، كما ان قصر الدعوة على أعضاء الجمعية العمومية لشركة الجريدة أمر طبيعى لأن الاجتماع لم يكن لتأليف حزب بل لاعلان برنامج حزب مؤلف من العام الماضى (١٢٠) .

واحتدتت المعركة بين الصحيفتين فخصصت الجريدة بابا دائما بعنوان « المؤيد وحزب الأمة » (١٢١) ترد فيه على دعاوى على يوسف الذى انشا سلسلة مقالات مطولة تحت عنوان « كيف انشئء المؤيد — خطئه السياسية — رايه فى حزب الأمة » أكد فيها على الشقاق القائم بين رجال الحزب والخديوى، وأبان أن مدير الجريدة الذى يدعى خدمة الأمة يجب ان يعلم أن مصلحة الأمة

(١١٨) الجريدة ١٤ فى ٢٤ مارس ١٩٠٧ ، المؤيد ٥١٢٢ فى ٢٥ مارس ١٩٠٧

(١١٩) المؤيد ٥٢٧٧ فى ٢٥ سبتمبر ١٩٠٧ .

(١٢٠) الجريدة ١٧٢ ، ١٧٢ فى ٢٩ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧ .

(١٢١) الجريدة ١٧٦ ، ١٧٧ فى ٣ ، ٤ أكتوبر ١٩٠٧ والاعداد التالية .

في التحيز للسلطة الشرعية (١٢٢) وانكر انه طالب الانضمام لشركة الجريدة التي لا تقبل أى شخص له علاقة بأحدى السلطتين وقبيلت أقرب المقربين للوكالة البريطانية ، كما حاول على يوسف الايقاع بين الجريدة وحزب الامة بإثارة مسألة علاقة الموظفين بالحزب الذى هو مشكل لأن يكون قوة أمام الحكومة باسم الامة (١٢٣) .

وخلال أكتوبر ١٩٠٧ أعلن الحزب الوطنى عن قيامه رسميا . فتأكد لدى على يوسف أن الخديوى لم يعد أمامه الا « المؤيد » فمهد لإعلان حزب الإصلاح بمهادنة حزب الامة ، بل أنه وصل الى حد دفاعه عنه عندما هاجمه الحزب الوطنى فيما عرف بقضية « الاستقلال التام » وذكر المؤيد أن اللجوء نسي أنه نادى بالاستقلال التام الف مرة وبالتالي فهو أسبق فى معاداة النولة الملكية (١٢٤) .

وحزب الإصلاح الذى أعلن عن قيامه فى ديسمبر ١٩٠٧ ، يتشابه الى حد كبير مع حزب الامة من حيث التكوين ، فمجلس ادارته المكون من خمسة عشر عضوا ، ضم بينهم ثلاثة باشوات وستة باكوات ، ثم ان المؤسسين ، والذين انضموا الى الحزب بعد تأسيسه « كلهم من سراة المصريين وكبار فضلائهم من باشوات وباكوات وعلباء ومحامين وفوات وأعيان » ، كما أبده من القوم « عملاؤهم ووجهائهم وأهل العلم والصل والثروة وذوو الصفات النهائية فى البلاد » (١٢٥) ، وإذا أخذنا فى اعتبارنا أن الكثير من المثقفين الشباب من أبناء الاعيان قد انضموا الى حزب الامة وأن غيرهم من فئات الشباب وطلبة المدارس قد أخذوا بمبادئ مصطفى كامل وحماسته المتدفقة ، وإذا علمنا ان طبيعة حزب الإصلاح طبيعة جاوذة محافظة لا ترضى طموح

(١٢٢) المؤيد ٢٢٨٨ فى ٨ أكتوبر ١٩٠٧

(١٢٣) المؤيد ٥٢٨٩ فى ٩ أكتوبر ١٩٠٧

(١٢٤) المؤيد ٥٣١٩ فى ١٧ نوفمبر ١٩٠٧

(١٢٥) المؤيد ٥٣٣٧ ، ٥٣٣٨ فى ١٠ ، ٩ ديسمبر ١٩٠٧ وقد وصفه الخديوى عباس حلى

فى مذكراته بأنه الحزب المحافظ أو حزب اعيان البلاد (المصريح ٨٢٢) فى ١١ مايو ١٩٥١) .

الشباب (١٢٦) ، حينئذ يمكننا استنتاج نوعية الفئات التي انضمت لحزب الإصلاح خاصة وقد فصل الحزب بين عضويته العاملة وغير العاملة بئصاب مالي (١٢٧) ولعل عدم نص قانون حزب الأمة على اطلاق المضوية لمن مساء او تحديد ذلك بنصاب مالي يمثل الفرق الوحيد بين الحزبين في هذه المسألة وان كان لم يؤثر كثيراً في تكوين حزب الإصلاح وحججه الذي يعتبر عددياً اقل بكثير من حزب الأمة ، ففي اليوم الأول لاعلانه كان عدد الاعضاء ١٦٠ عضواً عاملاً ، يضاف اليهم مجلس الإدارة ويكونون جميعاً جمعية الحزب العمومية (١٢٨) .

ونظام حزب الإصلاح قريب الشبه بنظام حزب الأمة حيث يباشر أعماله مجلس إدارة يتكون من ١٥ شخصاً ، وان كان ٢٥ في حزب الأمة ، وجمعية عمومية (مادة ٦) ، وبرغم أن قانونه نص على أنه سوف ينفشء فروها في مدن القطر الكبرى (مادة ١) (١٢٩) الا أننا لم نسمع سوى أصوات مندوبي «المؤيد» في الاقاليم فقط . ولعل الفارق الاساسي في النظام بين الحزبين يتمثل في كون صاحب المؤيد ورئيس تحريره هو عينه رئيس حزب الإصلاح ، اما حزب الأمة فقد كانت الجريدة شركة جماعية يرأس تحريرها سكرتير الحزب . وعملها كانت الصحيفة وحدها لسان حال كل منهما .

وإذا كان حزب الأمة قد تجاهل في مبادئه المسلحة الخديوية ، فان حزب الإصلاح قد وضع مسألة تأييدها في قمة برنامجه ، أما مسألة الاحتلال والجلاء، فقد رأينا حزب الأمة يعرض مقدمات ووسائل تبلغ بها الأمة استقلالها ، ويقرر حزب الإصلاح تلك الوسائل ، وان كان قد أسبقها بتأكيد الأعتماأ

(١٢٦) ونظرة واحدة لطبوعت المؤيد توضح نوع الثقافة التي تنشرها فهي (نهاية الأيجاز في علوم البلاغة للفخر الرازي - التبر المسبوك في نصيحة الملوك للغزالي - نصل المقال فيما بين الشريعة والفلسفة من الاتصال - معارج الوصول لابن تيمية - الواسطة بين الحق والخلق ... الخ) . المؤيد ٥٢٥٢ في ٢٨ أبريل ١٩٠٨
(١٢٧) الجريدة ٢٢١ في ١٠ ديسمبر ١٩٠٧ (العضو العاقل يدنع خمسة جنينها سنويا بينما يدنع العضو غير السائل خمسون ترشاً) .
(١٢٨) المؤيد ٥٢٢٧ في ٩ ديسمبر ١٩٠٧
(١٢٩) الجريدة ٢٢١ في ١٠ ديسمبر ١٩٠٧

على وعود وتصريحات بريطانيا وبطالبتها بتحقيقها (مادة ٢) أما مقدمات الاستقلال فقد تحددت بطلب مجلس نيابى تام السلطة وهو ما لم يطلبه حزب الامة ، كما ان برنامج حزب الاصلاح قد تجاهل الاصلاح الاقتصادى ، فى حين احتل هذا الامر نصف برنامج حزب الامة ، ولسنا نبالغ اذا قلنا ان حزب الاصلاح قد وضع اساسا لتحقيق المبدأ الاول من برنامجه « تأييد السلطة الخديوية فيما منحتها الفرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الادارى » ، ذلك ان بقية برنامج الحزب قد وزد فى برنامجى الحزبين الآخرين — الامة والوطنى — ولان هذا المبدأ دون غيره ، كان محور الخلاف بين حزب الاصلاح والاحزاب الاخرى ، وبالذات حزب الامة ، ثم ان الحزب ظل تويها بقوة هذه السلطة ، وضعف بضعفها ، وزال باشارة منها . وكان طبيعيا أن يغلب طابع الاعتدال على أسلوب الحزب ، وذلك بحكم تكوينه ، وعلاقته بالسلطة الشرعية خاصة فى زمن الوفاق ، وطبيعة المهمة التى انشئ من أجلها ، ويصرح شيخ المؤيد بذلك الاعتدال مؤكدا ان الاعتدال هو الوظيفة الطبيعية للعقل وخير الامور الوسط . . . وان كل من خرج عنه بتطرف أو انراط محكوم عليه بالخطأ والطيش (١٢٠) . كما ان خير دليل على اعتداله ، بنطق حزب الامة ، موقفه من قضية الاحتلال الذى تقول عنه « المؤيد » لا يذنب ان نكره هذا الضيف الذى نستفيد منه ونترقى به حتى نبلغ مبلغه من الرقى والكمال وحين ذلك نطالبه بالحصنى . . فيفئنا برقىنا وتقدمنا عن المكائنة والنزاع (١٢١) ويؤكد على يوسف اختلاف جماعته مع الحزب المتطرف « فالانجليز ينوون البقاء لا الجلاء غير اننا نخطف فى طريقة ابدال هذا البقاء بالجلاء فهم يرون القوة ونحن نرى الاتفاق » (١٢٢) .

انتقدت الجريدة على حزب الاصلاح انه توج مبادئه بذكر تأييد السلطة الخديوية « كأن عرش الخديوية فى حاجة الى تأييد ، وما سمعنا أن ملكا يفتقر فى تأييد سلطته لحزب ولا أن حزبا أسس لتأييد ملك ثم ما هو التهديد

(١٢٠) المؤيد ٥٢٧٢ فى ١٩ سبتمبر ١٩٠٧

(١٢١) المؤيد ٥٢٧٦ فى ٢٤ سبتمبر ١٩٠٧

(١٢٢) المؤيد ٥٢١٠ فى ٣ نوفمبر ١٩٠٧

الذى يهدد الخديوية لاحتاج الى تأييد « وكانت بذلك تنقد مسلك الخديوى تجاه الحزب لا العكس ، رغم تأكيدها أن التمسك بالعرش واجب مقدس على كل مصرى (١٣٣) والطريف أن الشيخ على يوسف الذى دافع عن موقف حزب الأمة في قضية الاستقلال التام ذكر في اجتماع حزبه ، أنه لا يطلب الاستقلال التام الذى يطلبه سواه ، ويعتبر من يطلبه لمصهددا للسلطة الخديوية (١٣٤) ، وبهذا يفسره من زاوية حزبه باعتباره مهددا للخديوى بالدرجة الاولى في حين أن الحزب الوطنى قد فسره باعتبارها مهددا للسيادة التركية .

ويتصاعد الخلاف بين الخديوى عباس وحزب الأمة في مطلع عام ١٩٠٨ يتصاعد العداء بين حزبي الأمة والاصلاح ، ان لم يكن هذا الاخر مذكيا ومتحمسا له ، ففى يناير ١٩٠٨ حملت المؤيد على حزب الأمة حملتين كبيرتين تستهدفان تمييزه بدأت اولاهما باحتضان المنشقين على الحزب خلال صراعه مع الخديوى ، فنشرت نصوص استقالاتهم تحت عنوان شبه يومى هو « بين الجريدة ومساهميها » (١٣٥) . وكلمهم يعطون تبرؤهم من خطة الحزب ومسلك الجريدة وينسحبون من شركتها راضعين دعاوى لتصفيتها ، وكان معظمهم يستنكر موقف الجريدة من العرش الخديوى ، وقد خرجت «الجريدة»

(١٣٣) الجريدة ٢٢٢ في ١١ ديسمبر ١٩٠٧

(١٣٤) المؤيد ٥٢٥١ في ٢٦ ديسمبر ١٩٠٧

(١٣٥) بدأت المؤيد هذه الحملة بنشر خطابات انسحاب عثمان نسيط ومحمود الأثرى ورفعهما قضية على الجريدة (٥٢٥٨ في ٤ يناير ١٩٠٨) وقد وردت الجريدة بشراء حصصها وأودع عبد العزيز لهما خزينة الحكمة ما اكتنبا به ثم رفضت الدعوى (الجريدة ٢٥٧ في ١٢ يناير ١٩٠٨) ثم تلتهما استقالة احمد عيسى باشا بكتاب مفتوح يعلن فيه انسحابه من الحزب الذى لا يتعلق بالعرش الخديوى (المؤيد ٥٢٦٤ في ١١ يناير ١٩٠٨) وقد وردت الجريدة بأن القول بسلطة الأمة لا يعد تطاولا على السلطة الشرعية التى تحتويها ولها موافق في الدفاع عنها (٢٥٨ في ١٢ يناير ١٩٠٨) ثم توالت استقالات أمين الشمسى وسيف النصر محمد وتام كساب واحمد رفعت واحمد يحيى ومهران خلاف وناشد حنا ومحمد الحفناوى وابراهيم مراد وحسن ججوم ومصطفى خليل وغيرهم (المؤيد ٥٢٦٥ ، ٥٢٦٦ في ١٢ ، ١٣ يناير ١٩٠٨) وتذكر المؤيد في العدد الاخر ان الجمعية الصومية للحزب كان موعد انعقادها امس ولكنها لم تجتمع لعدم تكامل العدد القانونى لها هذا وكانت المؤيد قد عنوت كتاباتها بعنوان « بين حزب الأمة وأعضائه » ولما توالت الانشقاقات بدا لها ان الحزب قد انتهى بالفعل فنصوتها بعنوان « بين الجريدة ومساهميها » منذ العدد ٥٢٦٤ في ١١ يناير ١٩٠٨

من هذه المحنة بفتح اکتتاب جدید قيمته أربعة آلاف جنيهه وذكرت أن الاکتتابات تتوالى عليها بالتلفرافات من الاقاليم (١٣٦) .

أما ثانيتهما : فقد بدأتها المؤيد بنشر كتابي محمد عبده الى ويلفرد بلنت اللذين ترجمهما اللواء (١٣٧) . على ما فيها من تصريح الشيخ برغبته في تجريد الخديوي من سلطة ، وسألت المؤيد حزب الامة : هل هذه آراء جميعتكم السياسية ، ألم يقتف حزبكم أثر المرحوم في مبادئه ؟ (١٣٨) وردت الجريدة موضحة أن كل الاحزاب تطلب المجلس النيابي والحكومة الدستورية ، حتى حزب الاصلاح نفسه ، ايطلب صاحبه حكومة دستورية حاكمها مطلق ؟ (١٣٩) وذكرت ان من أعضاء حزب الامة من كان صديقا للمفتي رغم مخالفته لآرائه ، ثم ان حزب الامة لم يعلن انه يقتنى أثر المرحوم في سياسته ، كما أن الشيخ على يوسف كان زما من أتباعه (١٤٠) . فتهدد المؤيد « حزب المفتي » بأن لديها كتبا خصوصية لمحمد عبده وصورا وتقارير مطولة أرسلها للاستئانة بين سنتي ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ولم تنشرها اكراما لماتنه ، فتورد الجريدة متهمة المؤيد « بالتلبيس » مطالبة اياها بنشر ما عندها وهددتها بانها ترمى بالحجر وبيتها من زجاج (١٤١) .

ويبدو ان هاتين الحملتين لم تجهزا على حزب الامة برغم ما ذكرته صحيفة الجازت من ان عددا كبيرا من اعضائه انضموا الى حزب الاصلاح (١٤٢) لذلك أخذت المؤيد على عاتقها تنفير مولى الجريدة واصفة اياهم بأنهم أداة

(١٣٦) المؤيد ٥٣٧١ في ٢٢ يناير ١٩٠٨

(١٣٧) يذكر سعد زغلول ان معلمي كابل تد عمل ذلك غيظا من الخديوي الذي ساعد

على يوسف (بذكراته ك ١٢ ، ص ٥٩٠) .

(١٣٨) المؤيد ٥٣٦٠ ، ٥٣٦٢ في ٦ ، ٨ يناير ١٩٠٨ والصدن للصابق ايضا .

(١٣٩) الجريدة ٢٥٠٧ في ١١ يناير ١٩٠٨

(١٤٠) يذكر رشيد رضا ان على يوسف كان يخبر محمد عبده ورجاله حزبه بجميع اسرار الخديوي وما ينكره من أعماله وآرائه ويستشيرهم فيها ليقينه انه لا يصل الى سموه شيء من مكاشفته ، كما لم يندلع على يوسف في مضادة الامام في مسألة الأزهر الأخيرة (تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ، ص ٥٩٤) .

(١٤١) المؤيد ٥٣٦٩ ، في ٢٠ يناير ١٩٠٨ ، الجريدة ٢٦٤ ، ٢٦٦ في ٢٢ ، ٢٥ يناير

١٩٠٨

(١٤٢) عن المؤيد ٥٣٧٢ في ٢٥ يناير ١٩٠٨

في يد كتابها وتطالبهم باستبدال مديرها المحامي بمدير صحافي وان ينفروا اسمها الذي حرر الافكار (١٤٢) ، بل دفع الخديوي بصحفيه في انتخابات مجلس الشورى (١٤٤) ، فتساعلت « الجازت » كيف يحتل اعضاء حزب الامة في مجلس الشورى قبول زعيم حزب الاصلاح فيما بينهم (١٤٥) .

وقد مرت بعد ذلك فترة هدوء نسبي بين الحزبين ، يفسرها تقارب واضح بين حزب الامة والحزب الوطني ، كما يزداد اقتراب رجال حزب الامة من على يوسف ، بصلحهم مع الخديوي ، في الوقت الذي اذيع فيه ان الوزارة يصدد التغيير وظهر ان سيكون للخديوي سلطة في هاتيف الوزارة الجديدة « فالتف حول المؤيد من كانوا منصرفين عنه بالامس خصوصا بعدما شاع وذاع انه كانت له اليد الكبرى في تعيين بعض النظار » ويدل على هذا سهر محمود باشا سليمان ، وعلى شعراوى باشا في جفازة ابن الشيخ على يوسف (١٤٦) . لكن الخلاف يعود مرة اخرى عندما خاب اهل حزب الامة في الوزارة الجديدة ، وبدأت علاقته بالخديوي تسوء مرة اخرى في بداية عام ١٩٠٩ ، وكان من آثار ذلك القضية التي رفعها خمسة ومهمرون عضوا من الجمعية العمومية لحزب الامة ، مطالبين بتصفية الجريدة وقطع لسان الحزب (١٤٧) ولا تخف الحدة الا بعد ان يخلد حزب الامة ، وقد اضعفته وانكسرت حملة الاستقالات ، الى مهادنة الخديوي ، حيث شرعت جريدته في نشر قصائد مديحة واخبار استقبالاته ، فبادلتها المؤيد ودا بود ، وكهنت من اثاره المتاعب للحزب وتشجيع المنشقين عليه ، ثم لا تلبث ان تضع حزبي الامة والاصلاح في معسكر واحد يضم « عظماء الامة وكبار المفكرين في وادي

(١٤٢) المؤيد ٥٣٦٨ في ١٩ يناير ١٩٠٨

(١٤٣) مذكرات سعد زغلول ، ك ١٢ ، ص ٥٩٠ يقول « الحامل ان تداخل الجناب

العالي في الانتخابات هذا العام محقق » .

(١٤٥) من المؤيد ٥٣٦٩ في ٢٠ يناير ١٩٠٨

(١٤٦) مذكرات سعد زغلول ، ك ٩ ، ص ٤١٤

(١٤٧) الجريدة ٦٥٤ في ٥ مايو ١٩٠٩ وقد تولت المؤيد شرح قضيتهم على لسان حسن بك

جبجوج الذي تركت اتهاماته حول التخريب المالي والاشخاص الذين يكتبون فيها بالاجرة باسماء

مستعمرة ، وابتدأها للمحتلين وكرومر والتحريريين على التورزة في الأزهر وتتابع الطعن على

الخديوي . (المؤيد ٥٧٦٩ في ١٧ مايو ١٩٠٩) .

النيل، وهما الحزبان اللذان يمثلان الرأي المعتدل في مصر» (١٤٨). لكن الخلاف يعود ليكدن صفو السلام بين الحزبين وكان السبب الاساسى كالعادة هو الخديوى ، فقد قدم محمود سليمان وشعراوى تقريرا بشأن قانون الازهر ، يعارض ترؤس الخديوى للمجلس الاعلى للجامع ، مهاجمت المؤيد هذا التقرير واعتبرت ان واضعه هو مدير الجريدة (١٤٩) . كما استنكرت وهاجمت رغبة حزب الامة تكوين جبهة من « الاحرار » او حزب ديمقراطى داخل مجلس الشورى ، وربطت بين حزب الاحرار الاحتلالى النزعة والذى تنطق المقطم بلسانه وهذا الفريق من حزب الامة ، وقد استعانت باسماعيل ابانلة ، رجل الخديوى ، ليهاجم هؤلاء « الاحرار » الذين شكلت لجنة من المجلس لتكريمهم بدار الجريدة (١٥٠) .

ويمثل موقف لطفى السيد من الحرب الطرابلسية آخر مرحلة للصراع بين الحزبين ، كما ان حملة على يوسف على حزب الامة بسبب ذلك كانت آخر حملاته على حزب الامة ، فلم يلبث ان عين شيخا للسجادة الوفائية بامر عال في مارس ١٩١٢ (١٥١) . وتعتبر هذه الحملة هى اول حملة يشنها المؤيد دون ان يكون محورها الخديوى ، وان اتصلت به بشكل ما ، كذلك لم ينفرد بها صاحب المؤيد وحده ، فقد كانت كافة القوى الوطنية بل وفريق من حزب الامة نفسه ، فى معسكره ، وموقف حزب الاصلاح من مساعدة الطرابلسيين يتصل باعتبارها مسألة اسلامية لا تركية فكان رئيسه من المطالبين بتشكيل لجنة الاكتتابات (١٥٢) نما ان نشر لطفى مقالات « سياسة العواطف » حتى

(١٤٨) المؤيد ٦١١٥ في ١١ يوليو ١٩١٠ ونشر تلغرافنا لمكاتبها في الدقهلية يطلب الى مندوبى السنبلوين ان يظهروا وطنية صادقة وينتخبوا لطفى السيد (المؤيد ٦٢٤١ في ١٧ ديسمبر ١٩١٠) وكان صاحب التلغراف محمود سليلب احد اثنين انسحت لهما المؤيد صدرها للمطالبة بتصفية الجريدة .

(١٤٩) المؤيد ٦٢٢٨ في اول ابريل ١٩١١
 (١٥٠) المؤيد ٦٢٣٥ ، ٦٢٣٦ في ٩ ، ١٠ ابريل ١٩١١ ، ومخالات ابانلة باشا بالمؤيد ٦٢٨٦ ، ٦٢٨٧ في ١٠ ، ١١ يونيو ١٩١١ وقد وردت عليها الجريدة في ١٢ ، ١٣ يونيو ١٩١١
 (١٥١) الجريدة ١٥١٥ في ٦ مارس ١٩١٢
 (١٥٢) المؤيد ٦٤٨٧ في ٨ اكتوبر ١٩١٢ (وقد نشرت مقالات يتلم واحد من انتداب حزب الامة وهو حبه البانلة) .

انبثرت المؤيد لنشر برقييات مساهمى الجريدة المستفكرين خطتها والمطالبين بمحاربتها ، ثم ردت عليها بسلسلة مقالات عنوانها « التخطيط فى السياسة بين المنافع والعواطف » طمئنت فيها على لطفى السيد طعنا جارحا واتهمته باحتقار الراى العام وأرضاء الانجليز ، والالحاد (١٥٢) ولم تنته المركبة الا بانتقال الشيخ على يوسف الى السجادة الوثائية ، بعد أن استنفذ لدى الخديوى مسوغات وجوده ، وبيانتقاله بعتبر حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية فى حكم المنتهى ، وان كانت سنواته الاخيرة قد أكدت هذا من قبل ، فقد كان واضحا أن الحزب ليس أكثر من كونه صحيفة تدافع عن الخديوى ضد الأحزاب الأخرى ، ولكن مع فرض قانون المطبوعات والتوانين المكممة لأفواه الوطنيين ، وتدهور الحزب الوطنى ومع مجىء سياسة الخلاف بين السلطين فى ركاب كتشنر وما صحبها من تتوقع الاحزاب وانصراف الكثير عنها ، لم يمد الخديوى بحاجة الى صحيفة تحميه أو حزب يدافع عنه .

حزب الأمة والأحزاب الصفري :

إذا حاولنا أن نعطى بقية الاحزاب المصرية ، توصيفات حقيقية ، فسوف نزرع عنها بالفعل تسميتها « بالأحزاب » . ذلك أنها كانت تكوينات ذات وجود لفظى أكثر منه فعلى ، فقد نشأت من واقع العداء لفكرة معينة ، أو لخدمة علاقة بعينها ، أو نتيجة حادثة ما ، كما أنها — باستثناء الحزب الوطنى الحر (١٥٤) — لا تملك صحفا للتعبير عن نفسها ، كما افتقدت وسائل التعبير الأخرى ، التى تكفل لها وجودا مضمونيا وعضويا . فلستنا نعرف لاحداها ما يعتبر هيئة برلمانية أو تشكيلا من نوع ما ، ثم أن معظم القائمين عليها كانوا من الكتاب والصحافيين . وتبعا لذلك أصبحت كيانات هذه الأحزاب — أن كان ثمة كيان لاحداها — هزيلة ومتواضعة ووهيية فى

(١٥٢) المؤيد ٦٤٩٥ فى ١٦ أكتوبر ١٩١١ (حيث توجد أسماء هؤلاء ونصوص برقياتهم)
ورد المؤيد بالعدد ٦٥٠٣ ، ٦٥٠٥ فى ٢٤ ، ٢٦ أكتوبر ١٩١١
(١٥٤) أنظر يونان لبيب : الحياة الحزبية ، ص ١٤٩ (والصحيفة الوحيدة التى أنشأها
هى صحيفة الأحرار الأسبوعية) .

أغلب الاحيان . كذلك لم يكن لأغلبها برامج محددة . ومن ثم سوف تقتصر دراستنا لعلاقة حزب الأمة بهذه الاحزاب على « مواطن الاحتكاك » التي حدثت بينهما وبين حزب الأمة طالما وجدت وسيلة للتعبير عن هذه المسألة أو تلك . وهذه الاحزاب هي الحزب الوطنى الحر (يونيو ١٩٠٧) ، الحزب الجمهورى (ديسمبر ١٩٠٧) ، الحزب المصرى أو حزب المصريين المستقلين (سبتمبر ١٩٠٨) ، حزب النبلاء أو الاعيان (أكتوبر ١٩٠٨) ، الحزب الدستورى أو مصر الفتاة (١٩٠٩) (١٥٥) ، ولم تكن هناك صلة — فيما درسنا — بين حزب الأمة والحزبين الآخرين .

أما الحزب الوطنى الحر أو حزب الاحرار الذى عرض محمد وحيد برنامجه فى صحيفة « المقطم » فى ٢٦ يوليو ١٩٠٧ (١٥٦) ، والتي اتخذت لسان حاله منذ البداية ، فصلته بالاحتلال معروفة بما فيه الكفاية ، ولعل هدفه الصلة مثلت محور علاقته بحزب الأمة ، كما جعلت « المقطم » الصحيفة الثانية — بعد المؤيد — التي اهتمت بمسألة اصدار « الجريدة » ووصفت القائميين عليها بالاناضل المعتدلين ، وذكرت أن ما ذكره المتطهرون عن استحكام وشائج الود بين الاحتلال واصحاب الجريدة هو بعينه الكفيل بنجاحها (١٥٧) . ثم رحبت « بالجروندست » أو الحزب المعتدل وهاجبت اللواء حين انكرت وجود حزب بمصر سوى الحزب الوطنى (١٥٨) .

وحين عرض محمد وحيد مبادئ حزبه كان على رأسها مسألة المحتلين والسعى فى نيل ثقتهم والاتفاق معهم على ما فيه خير القطر وترقيته وانجاحه ،

(١٥٥) انظر يوتان لوب : الحياة الحزبية ، ص ٢١

Landau, Parliaments and Parties, pp. 143-147.

والحزب الاخير انشاء اديريس راغب ، احد مساهمى الجريدة المنشقين عليها وقد اعلن من قيام حزبه ولما فشل فى اتخاذ صحيفة له انشا « الايجيت » لتتطوّر بلسانه ولكنه لم يعش طويلا كما لم تربطه احدى حلة بحزب الأمة .

(١٥٦) المقطم ٥٥٧٢ فى ٢٦ يوليو ١٩٠٧

(١٥٧) المقطم ٥٢٧٠ فى ٢٠ يوليو ١٩٠٦ ، ٥٢٠٨ ، ٥٢٠٩ فى ١٣ ، ١٤ سبتمبر ١٩٠٦

(١٥٨) المقطم ٥٢٨٠ فى ٧ ديسمبر ١٩٠٦

وتدور باتى المبادئ حول التدرج واجتناب الطفرة واعتماد الامة لقبول
 الإصلاح الذى يأتى به الانجليز (١٥٩) وهى فى مجموعها لا تختلف كثيرا عن
 فلسفة حزب الامة ، وكان اول احتكاك بين صحيفتى الحزبين - الامة
 والاحرار - حين سألت المقطم الجريدة عن تقصد بأصحاب المصالح
 الحقيقية ، فردت الجريدة بأنهم هم الذين يدافعون عن بلادهم وقت الشدة
 ويجهرون بأنه ليس فى البلد تهيج ولا مهبجون (١٦٠) بيد أن حزب الامة يرى
 أن ثمة فارقا بين اعتداله واعتدال حزب الاحرار ، بل يرى فى ذلك الرضا
 الصريح بالاحتلال نوع من التطرف يقابله تطرف الحزب الوطنى فى عدائه
 للاحتلال . فمثلا حين يبرق وحيد الى الخديوى وهو بالاستانة ليؤكد له باسم
 حزبه أنهم راضون من الاحتلال تمام الرضى ويعترفون بحسناته وثمراته ،
 لا ترى الجريدة لهذه البرقية سببا ظاهرا وتعتقد ان هذا السعى فى شكله
 لا ينطبق على ما يدعبه الاحرار (١٦١) .

وبالرغم من هذا يصر حزب الاحرار على الاقتراب من حزب الامة ،
 بل ويعتبر نفسه فريقا من حزب الامام محمد عبده ، اخص بالجانب السياسى
 من هذا الحزب الكبير (١٦٢) ويقرن بين أفكار حسن باشا عبه الرازق فى
 خطبة اعلان الحزب ، وبين أفكاره ، وان كل ما هنالك هو أن حزب الامة
 يفصل مثلا فى بعض الامور التى يجعلها حزب الاحرار ، ولتمام الفائدة يرى
 ان يجمعا قوتيهما ويحملان حزبا واحدا (١٦٢) بينما تجاهلت الجريدة الرد
 عليه ، وحتى حين سألها المقطم عما تقصده بكلمة « امة » (١٦٤) لتوجد نوعا
 آخر من الاتفاق بين الحزبين ، اصرت الجريدة على التجاهل حتى لا تكسب
 حزبا صفة محددة ، ربما حوسبت عليها بعد ان تحدد موقفها من سياسة
 الوفاق ، ورأت انه اذا كانت المقطم تقول بالرضا عن الاحتلال فالجريدة

(١٥٩) المقطم ٥٥٢ فى ١٣ يوليى ١٩٠٧ والاحرار ١٧ فى ١٣ سبتمبر ١٩٠٨

(١٦٠) الجريدة ٧١ فى ٢ يوفير ١٩٠٧

(١٦١) الجريدة ١٠٠ فى ٦ يوليى ١٩٠٧

(١٦٢) المقطم ٥٥٧٨ فى ٢ اغسطس ، ٥٥٨١ فى ٦ اغسطس ١٩٠٧.

(١٦٣) المقطم ٥٦٢٢ فى ١٢ سبتمبر ١٩٠٧

(١٦٤) المقطم ٥٦٢٦ فى ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧

لا تقول بذلك لان الوقت لم يحن بعد (١٦٥) . ومع هذا لا يفتأ حزب الاحرار أن يبدي رغبته في الاتحاد مع حزب الأمة الذي حاول الايقاع بين محمد وحيد وبين صاحب المقطم الدكتور فارس ، « الذي أفسح صدره لهذا الحزب الخيالي الذي ليس له حظ من الوجود الا الاسم » (١٦٦) . وتأبى المقطم الا ان تؤكد أن الحزبين مختلفان لفظا ومفقا معنى . فتكرر الجريدة أن الخلاف بينهما هو الرضا بالاحتلال الذي تقول به المقطم فترد هذه بأن الاحتلال موجود رضينا او لم نرض بوجوده غير متعلق على رضانا ، وأن المصلحة تقضى علينا بمسالمتهم والاشترار معهم في عمل يفيد القطر (١٦٧) وهو منطق التعامل مع الاحتلال اعتمادا على الواقع مع المسالمة ، والذي نادى به الجريدة من قبل ، ولا يكف حزب الاحرار عن محاولاته الالتصاق بحزب الأمة عن طريق الاعداد لاجتماع بين محمد وحيد ولطفى السيد ، او فتح اكتاب عام لاقامة تمثال لمحمد عبده (١٦٨) .

ترك محمد وحيد المقطم على أثر خلاف مع صاحبها ، وأصدر صحيفة الاحرار فأتخذت علاقته بحزب الأمة شكلا جديداً ، بعد فشل كل محاولاته للاتحاد معه كما أن حزب الأمة منذ الشهور الأولى لعام ١٩٠٨ قد بدأ حملته على سياسة الاحتلال البريطاني ، ومهاجمة الوفاق ، حينئذ اندفع حزب الاحرار في شن حملة قوية عليه اتهمه فيها بأنه « حزب تيهان وجريدته تيهانة » وأنه قام به نفر من الغيطنيين ذوى الغيطان ليس الا (١٦٩) . ووصفه بأنه لا مذهب له ولا مشرب لجريدته وأنه « حزب متلون » ولطفى السيد « غلام متلون » (١٧٠) . ولكن حزب الأمة تجاهل تماما وجود هذا الحزب وتجاهل محمد وحيد بعد إصداره لصحيفته . فلم نعثر على مقال واحد في الرد عليه ، بل ولم نعد نسمع من حزب الاحرار نفسه الذي أغلقت صحيفته في منتصف عام ١٩١٠ .

(١٦٥) الجريدة ١٧٢ في ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧

(١٦٦) الجريدة ١٩٥ في ٢٦ أكتوبر ١٩٠٧ (ويذكر وحيد بك أن كل من يريد الانضمام للحزب

ما عليه الا أن ينضم بقلبه ووطنيته الصحيحة) .

(١٦٧) المقطم ٥٦٥٢ في ٢٨ أكتوبر ١٩٠٧

(١٦٨) المقطم ٥٦٥٣ في ١٩ أكتوبر ١٩٠٧ والاعبار ٤٢ في ٢٣ فبراير ١٩٠٨

(١٦٩) الاحرار ١٢ في ٣٠ مايو ١٩٠٨

(١٧٠) الاحرار ١٤ ، ١٨ ، ٢٦ في ١٣ يونيو ، ١١ يوليو ، ٣٠ أغسطس ١٩٠٨

أما الحزب الجمهورى : فقد ظهر فى ديسمبر ١٩٠٧ حين أصدر محمد
أفندى غانم رئيسه بيانا أعلن فيه أن هدف الحزب الأساسى تلقين المصريين
مبادئ الجمهورية حتى إذا زال الاحتلال تحول نظام الحكم فى البلاد الى شكل
جديد للمصريين فى ظله أن يختاروا حكمهم بأنفسهم ، وكان ضمن الأحزاب
المعادية للحكم الاوتوقراطى الذى مارسته أسرة محمد على (١٧١) . وقد نادى
محمد غانم على صفحات جريدة « الأخبار » التى أسست صدرها لدعوته ،
بسيادة الأمة واعتبارها مصدر كل سلطة (١٧٢) . ورغم ما يجمع هذا الحزب
وحزب الأمة من عدا للخدوي وأسرتة ودعوة الحزب الجمهورى الى سيادة
الأمة او سلطة الأمة ، مع اختلاف نظرة كل منهما لكيفية ممارستها لهذه
السلطة ، إلا ان حزب الأمة لم يكن على استعداد لمجاراتة هذا الحزب فى
دعوته ، ومع ذلك كان محمد غانم وهو يهاجم « جرائد السلطة المطلقة
والأغراض الشخصية » يضع جريدة حزب الأمة فى موضع وسط « فبرغم انها
نادت بسلطة الأمة إلا انها برأت نفسها من التول بأشرف المبادئ الوطنية
وهو الاستقلال التام حرصا على مركزها المالى » ، وكان يأمل أن يتحد
الحزبان (١٧٣) لأن حزب الأمة ينادى بالجمهورية بضميرها وينكرها بلسانها . . .
فسلطة الأمة واحدة ولا تتعدد ووحدتها الجمهورية « فما لحزب الأمة ينادى
بامر ويسمى الى ضده » (١٧٤) وربما خشى حزب الأمة من تطرف مبادئ محمد
غانم فلم يعلق عليها بشئ وربما أيضا لم تسمح الفترة التى عاش خلالها الحزب
الجمهورى ، ولم تتجاوز بضعة أشهر ، بتطور من نوع ما لملاقاة هذا الحزب
بحزب الأمة .

(١٧١) محمد انيس : الحزب الجمهورى المصرى ١٩٠٧ - ١٩٠٨ - الكتيب - ١٠٥ فى

ديسمبر ١٩٦٩

(١٧٢) الأخبار ٢٥٢ ، ٢٥٧ فى ٢٢ ، ٢١ ديسمبر ١٩٠٧ (ويشرح فى العدد الأخير مبادئ

الحزب الجمهورى) -

(١٧٣) الأحرار ، عدد ٧ فى ٤ أبريل ١٩٠٨

(١٧٤) الأحرار عدد ١١ فى ٢٢ مايو ١٩٠٨

وأخيرا الحزب المصري ، فحين صدرت « الجريدة » رحبت بها الصحف القبطية ، التي تحدثت باسم الحزب المصري فيها بعد ، وكان هذا الترحيب يرجع الى رفع الجريدة لشمار الاعتدال الذي اشدت به صحيفة «الوطن» (١٢٥) ورائت ان خطة حزب الامة موافقة كل الموافقة لسياسة « الوطن » التي نادى بها المشهور والاعوام (١٧٦) والاشادات صحيفة مصر بسياسة « المسالمة لا المعاندة » للاحتلال . ورائت ان جرائد الحزب الوطنى قد عميت عن هذه الحقيقة . كما اشدت بسياسة حزب الامة وذكرت انها طالما نادت بالاعتدال ازاء المحتلين ، وان يتولى الاميان والقائمون بالنيابة اصلاح الاخطاء (١٧٧) ، وكانت شركة الجريدة وبالتالي الجمعية العمومية لحزب الامة تضم ١٦ قبطيا من بين اعضائها البالغين ١١٣ مضوا ، ولعل سر اهتمامهم بالمساهمة فى حزب الامة يرجع الى خشيتهم سيطرة الميول والانتجاهات الاسلامية على الحزب الوطنى ، كما ان اعلان « الجريدة » لسلوكها سبيل الاعتدال ، قد قربهم منها اكثر ، بالاضافة الى ان امهان الاتباط وجدوا فى حزب « الاميان » متنفسا طبيعيا للتعبير عن مصالحهم ، وقد شرعت صحيفة مصر فى مهاجمة حزب الامة عندما بينى هذا اساليب الحزب الوطنى ، فى فترة وفاقه معه ، فرائت « مصر » ان حزب الامة قد سار مع الحزب الوطنى جنبا الى جنب وضرب على كل اوتاره ، رآه ينكر على منصر الاتباط حقوقه ويطعمه بأقبح الطعنات فداراه ولم يجترىء على الاحتجاج عليه (١٧٨) وعلقت على خطبة لطفى السيد بالاستكدرية فى اغسطس ١٩٠٨ بانها كخطب محمد فريد ، وان هدفه كان ارضاء الغوفاء وان كلامه الطيب عن الوطنية ليس الا غشاء كاذب ، وانه يتنازع مع محمد فريد دولة الفوغاء فى مصر (١٧٩) ، وقد تجاهلت « الجريدة » ذلك كله ، لعزوفها عن الدخول فى معارك طائفية ، كما ان حرصها على تجنب الخوض فى المسائل الدينية النابع اساسا من معتقداتها الخاصة ، جعلها تتجاهل

(١٧٥) الوطن ٢٧٠٨ فى ١١ مارس ٢٦٠٢

(١٧٦) الوطن ٢٨٦٩ فى ٢٢ شبعب ١٩٠٢

(١٧٧) مصر ٢٢٧١ فى ٢ مايو ، ٢٤٨٩ فى ٢٢ شبعب ١٩٠٢

(١٧٨) مصر ٢٢٢٦ فى ٢٤ يوليئ ١٩٠٨

(١٧٩) مصر ٢٧٦١ ، ٢٧٢٢ فى ٢٤ ، ٢٦ اغسطس ١٩٠٨

قيام الحزب المصرى الذى لم نعد نسمع عنه بعد قيامه فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٠٨ (١٨٠) .

* * *

كانت مسائلنا الاحتلال البريطانى والسيادة العثمانية هما المحركان الأساسيان لعلاقة حزب الأمة بالحزب الوطنى ، ورغم اختلاف الحزبين حول هاتين المسألتين واسلوب التعامل بشأنهما — نظرنا واعتدالا — فان العلاقات الودية ظلت بين الحزبين ، مما يؤكد أن الخلاف فى المبادئ والمواقف شئ وان حسن العلاقة شئ آخر ، فالمسألة الأخيرة مستمرة اما الأولى فلا تتغير الا بتخلى احدهما عن موقفه ازاء هاتين المسألتين أو اسلوب التعامل معهما ، ولم يحدث هذا كثيرا فى حركة العلاقة بين الحزبين ، الا عندما قبضى حزب الأمة بعض أساليب الحزب الوطنى أو عندما أبدى زعيم الحزب الوطنى استعداداه لتبولوج حلول معتدلة ، فقد رأينا للمرة الأولى فى تاريخ الحزبين تقاربا أساسه اتفاق موقفيهما من الاحتلال ، يتصل به تقارب آخر أساسه ما يعتبر تفيرا فى موقف الحزب الوطنى ازاء السيادة العثمانية خلال الحرب الأولى .

وعلى غير ذلك كان الخديوى محور علاقة حزب الأمة بحزب الإصلاح ، حيث كان المؤثر الحقيقى أن لم يكن الوحيد فى حركة العلاقة بين الحزبين وليس هذا غربيا على حزب اقامه الخديوى فى مقابل حزب ينفس على الخديوى سلطته ، ومن ثم كانت طبيعة العداء هى الغالبة وما سواها لم يكن غير نوع من المهادنة ، وحين تصاعد عداء حزب الأمة مع الخديوى فى سنوات الوفاق ساهمت صحيفة حزب الإصلاح فى ضعفة حزب الأمة وان لم تجهز عليه ، ولم يحدث أن عرفت علاقة الحزبين لها محورا غير الخديوى سوى مرة واحدة خلال الحرب الطرابلسية حين شارك حزب الإصلاح بقية القوى السياسية موقفها من حزب الأمة .

* * *